كيف تكسب الأصدقاء

بكر محمد إبراهيم

الناشر

مركز الراية للنشر والاعلام

اسم الكتاب : كيف تكسب الأصدقاء

بقلـــم : بكر محمد إبراهيم

الطبعة : الأولى ٢٠٠٥

الناشر : مركز الراية للنشر والإعلام

فكرة الكتاب : للناشر أحمد فكرى .

الاشراف والمتابعة : كريم أحمد فكرى .

رقم الإيداع : 4850/2005

الترقيم الدولى : 977.354.081.2

كافة حقوق الطبع والنشر والتوزيع هى ملك لمركز الراية للنشر والأعلام ولا يجوز اقتباس أى جزء منها دون الحصول على موافقة خطية من الناشر.

كافة الآراء الواردة فى الكتاب ليست بالضرورة تعبر عن الناشر أو مركز الراية للنشر والاعلام بل تعبر عن وجهة نظر كاتبها .

المقدمة

الحمد لله القائل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) ﴾ [ق]

والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمة لعالمين وهو القائل ﷺ المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ،

وهو القائل : الأرواح جنود مجندة فما تعارف بها أئتلف وما تناكر منها اختلف .

وهو القائل : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا نظير ولا مشير ولا معين . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير الخلق أجمعين .

وبعـــد ،،

فهذا الكتاب يتناول الصداقة وكيف يكون الإنسان مؤهلا لكسب الأصدقاء وكيف يصلح من شأنه ليكون إنسانا صالحا ناجحا وصديقا مخلصا محبوباً .

يتناول نصائح قيمة تساعد على تكوين الشخصية السوية ونجاح الصداقة بين الناس وحسن التعامل والتفوق فى الحياة والنجاح فى العمل وتحقيق الطموح .

يتناول موضوع القلق وكيف نتغلب عليه والرضا بقضاء الله وأداء الأعمال لوجه الله تعالى وتكوين الصداقة لله تعالى وكيف يكون الإنسان جذاباً ومحبوباً وكيف وجه الرسول ﷺ المسلم للفلاح والنجاح وحسن الخلق وحسن المعاملة وصلة الأرحام وأن يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه وأن لا يحزن على مافات والإحسان إلى الغير والاخلاص فى العمل والصداقة وأن مع العسر يسراً ووجوب التفكر فى خلق الله تعالى والمحافظة على الصلاة وأوقاتها والإكثار من ذكر الله تعالى والاستغفار والدعاء ليذهب عنه القلق ونوفق فى الحياة ونكون محبوبين ناجحين .

ويوجه الكتاب إلى احتمال أذى الناس ومعاملتهم بالتى هى أحسن وبث الثقة والطمأنينة فى النفس وفى الغير .

فهذا كتاب شيق ممتع نسأل الله تعالى أن ينفع به .

والحمد لله وبالله التوفيق.

المؤلف

بكر محمد إبراهيم

عضو اتحاد الكتاب

صحح أفكارك(١)

قال الله تعالى : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١) ﴾ [الرعد].

إن هذه الآية الكريمة من كتاب الله تعالى تعتبر بمثابة قانون التغيير، فى هذه الحياة الدنيا، فلن يتغير حالك من حال إلى حال، هكذا بمعجزة مثلا بدون أن يكون لك أنت اليد الطولى فى تغييره، نعم سيحدث ذلك بقدر الله، لكن الله تعالى جعل لكل شىء سبباً، وما لم تدرك هذا القانون جيدا فلن يجدى شئ إذا أردت أن تقضى على القلق مثلاً، أو تتخلص من الهموم..

إنك لن تستطيع أن تتخلص من القلق إلا إذا كنت أنت ذاتك تريد هذا الأمر، وأنت نفسك تسعى فى سبيل التخلص منه، ولكن كيف يتم هذا؟!

إنه يتم عن طريق تغيير أفكارك وتصحيحها، فلن يقدر لك السعادة مثلاً وأنت تملأ رأسك بأفكار سوداوية، تحمل بها كما من الهموم تنوء بحمله الجبال.

فأفكارك سبب فى صنع حياتك، وبوسعك أن تغير مجرى حياتك عن طريق تغيير مجرى أفكارك، بل بسعك أن تمرض أو تتمتع بالصحة والعافية أيضاً عن طريق أفكارك.

وإن أحد أعظم الطرق إثارة اليوم فى علاج مرضى السرطان هى

(١) ٢٠ نصيحة للتخلص من القلق - عادل فتحى عبد الله -الدار الذهبية.

علاج السرطان عن طريق العيادات النفسية .. يعنى علاج مريض السرطان نفسياً.. وإنك لتعجب أن هذه الطريقة التى تستخدم حالياً فى أمريكا أتت بنتائج مبشرة! إن للنفس مكنونها الذى لا يعلمه إلا الله تعالى، ولها قدرتها الخاصة، وإن كثيراً من الأمراض العضوية تتدخل فيها الناحية النفسية سواء من ناحية السبب أو النتيجة.

فهناك أمراض عضوية سببها نفسى، وقد يتم شفاء بعض الأمراض العضوية والتى قد لا تكن نفسية المنشأ أو المصدر، قد يتم شفاء بعض هذه الأمراض نفسيا.

وإن أكثر من نصف المرضى الذين يذهبون إلى المستشفيات والعيادات الخاصة هم فى الحقيقة أصحاء .. يحتاجون إلى المعونة النفسية، وإلى أن يطمئنوا أنهم بخير ليس أكثر.

وقد يتعجب بعض الناس من أن بعض من أصيبوا بعلل خطيرة تم شفاؤهم على أيدى مشعوذين دجالين جهلة.. والحقيقة أن شفاءهم تم نفسيا .. (بالإيحاء).. ويكمن دور الدجالين فى إقناع هؤلاء بجدية الوسيلة التى يستخدمونها وعظم فائدتها .. وأنها وسيلة سحرية تشفى بسرعة .. وتبرأ من العلل .. فيقدم إليها المريض وهو مقتنع تماماً بشفائها وفائدتها .. فيحدث الشفاء.

أجرى رجل ذات مرة تحليلاً جاءت نتيجته أنه مصاب بمرض خطير فى الكلى.. وكان هذا الصديق قد ذهب لمركز التحليل ماشياً على رجليه، وهو لا يشعر بأى ألم يذكر، فما إن سمع هذا الخبر. حتى انهار فلم تستطع رجلاه أن تحملاه، ثم ذهب إلى البيت محمولا فى السيارة، وجلس طريح الفراش.

ثم جاء الطبيب، وقام بفحصه إكلينكياً، ثم طلب إعادة التحليل فى مكان آخر .. فإذا بالنتيجة الأولى كانت خطأ. وأنه غير مصاب بشىء فى كليته.

وما أن جاء الطبيب ليطمئنه على صحته، وأن التحليل الأول كان خطئاً، حتى استبشر الصديق، وتحسنت حالته وفى اليوم التالى ذهب إلى العمل.

إن الفكرة التى يحملها كل منا عن نفسه، وعما يمكن فعله، تؤثر تأثيراً كبيراً فى حياته كلها ... وهذا ما يؤكده (جيمس ألن) حيث يقول : «كل ما يصنعه المرء هو نتيجة مباشرة لما يدور فى فكره، فكما أن المرء ينهض على قدميه، وينشط بدافع من أفكاره، كذلك يمرض ويشفى بدافع من أفكاره أيضا».

فالحقيقة إذن واضحة .. أنت تعيش تبعا لأفكارك، فقد تكون فى عيش رغيد، لد يك المال والصحة والولد لكنك تقلق بشأن تجارتك وتخاف أن تخسر، وتنظر إلى حالك نظرة إزدراء لأنك تريد أن تشترى كذا وأن تفعل كذا وكدا.. فأنت بهذا تشقى نفسك، وتمنح نفسك التعاسة وأنت من المفترض أن تكون أسعد من كثيرين.

لا مانع من التطلع للأفضل، والسعى نحو الأحسن، لكن التطلع لوضع أفضل شىء، والحزن على عدم تحصيله شىء آخر، إنك تحتاج إلى تعديل أفكارك فى هذه الحالة لكى تعيش سعيدا لايساورك القلق ولا الهموم.

وقد تكون على العكس من ذلك تماماً، تعمل عملا بسيطاً، ويكفيك دخلك بالكاد، وتعيش فى شقة صغيرة .. إلخ. لكنك مع هذا سعيد جداً

بحياتك .. لأنك راض بما أنت عليه، غير ساخط لما هو كائن، غير قلق مطلقاً بشأن المستقبل .. بل أنت متفائل مستبشر على الدوام .. إذن فما أسعدك وأنت بهذه الحال !

إذن فليس وضع الإنسان هو الذى يتحكم فى سعادته أو شقائه، إنما الذى يتحكم فى ذلك نفسه وعقله وأفكاره .. لذلك كان ابن تيمية العالم الزاهد المجاهد يقول :

«ماذا يفعل بى أعدائى ؟! إن بستانى جنتى فى صدرى .. إن قتلى شهادة .. نفيى سياحة .. وسجنى خلوة »

فانظر كيف يصنع من المحنة منحة ؟! ومن البلاء عافية ؟! لم .. لأن أفكاره قد صاغها بطريقة صحيحة، طريقة تمنحه السعادة لا الشقاء.

فإن استطعت -وأنت تستطيع- أن تعدل أفكارك بطريقة تمنحك السعادة، توجعلك تتغلب على القلق والهموم، فسوف تعيش حياة رغدة سعيدة وإن احتوت على الكثير من المشاكل.

تخل عن المثاليات

كثير ممن يصابون بعلل نفسية، أو قلق ونحوه، هم أشخاص مثاليون، أشخاص يريدون من كل شىء فى الدنيا أن يسير على مايرام، أو يكون كما ينبغى أن يكون.

يعنى أنهم لا يقبلون بالقصور، ويقلقون بشأن أى خلل يمكن أن يكون .. فهم يريدون أصدقاءً بلا عيوب .. وزوجات بغير قصور .. وزواجا بغير مشاكل .. وأطفالاً طائعين غير مشاكسين .. ورؤساء فى العمل غير متسلطين، وأطباء مخلصين فى عملهم وغير مستغلين ... إلخ.

وهم يقولون : لماذا لا تكن الحياة بغير منغصات ؟! لماذا لا نقضى على هذه المنغصات .. وتصيبهم الكآبة والأحزان على كل وضع من هذه الأوضاع المؤسفة !

والحقيقة التى ينبغى علينا أن ندركها جميعاً أن الحياة الدنيا من سماتها القصور، وأن المثالية فى الدنيا غير موجودة إلا فى خيال الشعراء .. وفى المدن الفاضلة للفلاسفة والحكماء .

وعلى سبيل المثال، فإن تحقق الصدق فى الدنيا أمر مستحيل، فسوف تجد من يكذب، بل ومن يخادع، بل ومن ينافق .. وهم كثيرون .. فالصدق المطلق لن يكون .

فهل تحزن وتأسى لأن فلاناً على مكانته عند بعض الناس هو إنسان كذاب؟! وهل تكتئب لأن فلاناً الذى كنت تظنه مخلصاً اكتشفت أنه منافق؟!

وهل يصيبك القلق والتعاسة حين ترى الظلم والبطش والطغيان ينال الضعفاء، ولا ينال الأقوياء رغم جرائمهم الواضحة للعيان ؟!

إن جهادك فى سبيل الصدق والحق والعدل ومحاربة الظلم والظالمين أمر مهم وضرورى لكن تأثرك نفسياً بتلك الأمور وتوقعك أن تسير الدنيا كما ينبغى أو كما تريد.. فإن لم يحدث يُصبك القلق أو الحزن .. هذا هو غير المطلوب وغير المرغوب .. لماذا ؟ لأن ذلك يمثل هزيمة نفسية لك ..

هذه الهزيمة النفسية تجعلك لا تستمتع بالحياة، من ثم يصيبك الاكتئاب والملل، ومن ثَم لا تستطيع أن تؤدى المهام المنوطة بك جيداً .. طبعا لا تستطيع أن تفكر منطقيا وبوضوح وبعقلانية لتعديل ما تراه خاطئا .. بل قد تتصرف بعاطفة غير متعقلة .. عاطفة تسيطر عليها مشاعر الغيظ والكبتوالانفجار.

لابد أن تعلم وتدرك تماماً أن الدنيا فيها الكدر والصفاء، والعدل الظلم، والحب والبغض، والصدق والكذب، وأن هناك منافقين يحسنون التلون بمختلف الألوان .

قد تكتشفهم فى وقت متأخر جداً .. فلا تحزن .. فليس من المفترض فيك أنك تعلم الخبايا والأسرار، فالله وحده هو الذى يعلم السر وأخفى.

بل إنك ستفاجأ يوم القيامة بأناس كنت تحسبهم ملائكة فإذا بهم أخوان إبليس وأعوانه .. وستفاجأ بآخرين كنت تحسبهم وطنيين مخلصين فإذا هم عملاء خونة قد باعوا الوطن فى خسة ودنادة .. وستفاجأ بأناس كانوا يُتهمون بتهم خطيرة فإذا هم منها براء .. إلخ . وليس معنى هذا أن تعامل الناس على أن ظاهرهم لابد وأن يكون مختلفا عن باطنهم، ولكن أن تقدر أنك قدتجد بعض من تثق فيهم يخونون هذه الثقة.. بعضا وليس كلاً .. فإذا حدث هذا فلا تنهار، ولا تتحطم أعصابك .. ولكن تقبل الأمر بصدر رحب، واعلم أن هذه هى طبيعة الدنيا.

واستمع إلى هذا الحديث : يقول رسول الله ﷺ : «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت، قال : كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فماعملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال : كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم. وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكن فعلت ليقال : هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقى فى النار ».

فانظر أخى المسلم كيف تقلب الآخرة موازين الدنيا، نعم إنها «خافضة رافعة» فهؤلاء الناس كانوا فى الدنيا من أعاظم الناس .. وربما أنت تعرف أحدهم وتحبه كثيراً.

وقد يظهر لك فى الدنيا نفاقه ورياؤه، وعدم إخلاصه العمل، وقد لا يظهر لك إلا يوم القيامة.

فإذا اكتشفت بعد حين أنك خُدعت بشخص معين، فلا تحزن، فهو لم يخدعك، هو خدع نفسه وأوردها موارد التهلكة، وماذا يضيرك أنت من فعله؟!

بعد كل هذا هل تحزن لأنك فعلت الخير ولم يقابل الخير بمثله ؟! وهل تحزن لأنك تعبت فى تربية أولادك مثلا ثم هم اليوم لا يقدرون هذا التعب ؟!

وهل تحزن لأن فلاناً سبقك فى العمل وهو دونك فى الإنجاز ودونك فى الكفاءة ؟! .. إلخ.

ماذا يهمك إذا كانت الموازين فى الدنيا كثيراً ما تكون مقلوبة ؟! فليكن! المهم أن أجرك محفوظ لك، وعملك مدخر لك، وأنت مجزى به، وتعبك ومجهودك لن يضيع أبدا طالما أنك ابتغيت به وجه الله تعالى ... كل ذلك سيثقل ميزانك يوم تخف موازين آخرين.

تخلص من الغيرة
غير المحمودة

الغيرة تمثل أحد المشاكل التى تسبب القلق «الغيرة هى طلب أن يحبك إنسان ما بطريقة معينة .. وهى تصدر عن قصور فى الثقة بالنفس».

وقد يظن البعض أن الغيرة يمكن أن تقع فى الحياة الزوجية فحسب، يعنى بين الزوج وزوجته والعكس .. والحقيقة أن الغيرة تكتسب صفة العمومية .. فهى تقع فى الحياة بصفة عامة .. مع أشخاص معينين مؤهلين لهذه الغيرة .. والغيرة هى مشكلة نفسية بالدرجة الأولي، والشخص الذى يصاب بالغيرة يتأزم نفسياً بدرجة كبيرة، وقد تدفعه الغيرة لسلوك مدمر.

وقد تنغص عليه حياته .. قد تحدث مثلا أن تحدث نفسك فتقول : إن فلاناً هذا الذى أحبه لم لا يحبنى بنفس الدرجة، أو يهتم بفلان أكثر منى ..إلخ.

أو قد تقول الزوجة مثلا .. إن زوجى هذا الذى أحبه كثيراً، وامنحه حياتى كلها .. لم لا يفضل الجلوس معى ويذهب ليسهر مع زملائه .. وتأكلها الغيرة من زملائه وانصرافه بهم عنها .. والحقيقة أن هذه الزوجة وغيرها ممن تتسم سلوكياتهم بالغيرة .. هذه الغيرة الغير مقبولة - هؤلاء الأشخاص يحتاجون لإصلاح نفوسهم .. يحتاجون لزيادة الثقة بالنفس، إنهم يقدرن أنفسهم من خلال الآخرين، وهذه هى مشكلتهم، بمعنى مثلا أن الشخص الذى يحب آخر ويغار من أن ذلك الشخص الآخر يوجه اهتمامه لغيره .. هذا الشخص يقيم نفسه من خلال من يحبه ..

ومن ثم يود منه أن يحبه بنفس الدرجة أو أن يتوجه إليه فقط

بالاهتمام .. وهو بهذا اعتبر نفسه مسؤولا عن سلوك الآخرين .. وهذه مشكلة خطيرة، هذا أمر، وأمر آخر أنه ربط بين اهتمام هذا الشخص الذى يحبه بغيره، ربط بين هذا الاهتمام وبين حب ذلك الشخص له شخصياً.

بمعنى أنه ظن أنه طالما أن ذلك الشخص لا يهتم به بدرجة كبيرة وبأنه يهتم بذلك الشخص الآخر .. يعنى أنه لا يحبه ولا يقدره ، وهذا خطأ، فقد يكون اهتمامه بذلك الشخص لعمل ما بينهما، أو لمشكلة ما يحلها له، أو غير ذلك من الأمور.

يجب أن يعلم هذا الشخص الذى يعذب نفسه بتلك الغيرة من تصرفات الآخرين الذين يحبهم تجاه غيرهم يجب أن يعلم أن هذا التفكير بتلك الطريقة تفكير خاطئ وغير صحيح، فأنت لا تقدر قيمتك، ولا تشعر بتقديرك من خلال الآخرين، ولكن من خلالك أنت، من خلال ذاتك وأعمالك.

يجب أن يكون لديك هذا الشعو، الثقة بالنفس .. الاعتزاز بالنفس، كن شخصاً آخر يهتم بغيرك أكثر من اهتمامه بك فهذا شأنه هو، وليس شأنك أنت ..

فماذا يصيبك من عدم اهتمامه بك ؟! لا شىء.

تعلم أن تستمد سعادتك من ذاتك، وليس من غيرك، الأطفال فقط هم الذين يستمدون السعادة والحب من غيرهم، لأنهم يتعلمون الحب من غيرهم.

فالطفل يحتاج إلى الحب والدفء والرعاية من غيره، حتى يشعر بالأمن والأمان وبالحب، وهذه الأشياء ضرورية لنموه .. أما فى مجتمع

الكبار فلا ينبغى أن يتشبث البعض بتلك المعانى الطفولية. فمن المفترض أنك الآن تستطيع أن تفهم أن سلوكيات غيرك ه المسؤول عنها ولست أنت.

وأن غيرك حر فى أن يختار علاقاته، وفى أن يحب غيرك بعيداً عن تأثيراتك .. واهتمامه بغيرك يجب ألا يؤثر عليك مطلقا، وتخلص من محاولة سيطرتك على الآخرين.. ولا تكن مثل الطفل الذى يحزن لاهتمام غيره بأخيه مثلا وتركه له. لأن الطفل يظن أن فى ذلك طعنا فى كرامته، أو حطاً من قدره.

بينما أنت يجب أن تعلم أن عدم تقدير غيرك لك هذا شأنه هو لا شأنك أنت، ولا يعنى مطلقا الحط من قدرك، أو المساس بكرامتك.

إن مكانتك التى يجب أن تحزن عليها فقط هو عندما تشعر بأنك بعيد عن الله .. بعيد عن الطاعة، فتسارع لتقترب .. لأن مكانتك الحقيقية فى عملك الصالح. فى قربك من الله تعالى. مكانتك الحقيقية فى قوله تعالى :

قال تعالى : ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات]

سواء قدرك غيرك أم لم يقدروك.

الجانب الإيجابى من الغيرة :

بقى أن نشير إلى الجانب الإيجابى فى الغيرة، وهو أن يغار المسلم على حرمات الله أن تنتهك، فمثلا أن يغار الزوج على زوجته أن تخرج متبرجة فى الطريق فينظر إليها غيره .. هذه غيرة واجبة ضرورية وبغيرها تتهدم القيم فى المجتمع .. كذلك أن يغار الزوج على زوجته أن تأتى سلوكيات فيها ريبة مع أحد الناس فالغيرة هنا واجبة وضرورية.

وإلا أصبح الزوج ديوثاً، والديوث لا يدخل الجنة، ومن أمور الغيرة المنكوسة والمقلوبة فى مجتمعاتنا هو أن تغار الزوجة أن يتزوج عليها زوجها غيرها، ولا تغار من أن يرتبط بغيرها مثلا فى الحرام !! هذه مصيبة .. وذلك لما يصوره الإعلام المضلل من أن الزواج بامرأة ثانية جريمة لا تغتفر. وأن الزوج الذى تزوج بأخرى قد خان الأولى، وأن ذلك طعن فى كرامتها وحط لمكانتها، وإنزال من شأنها .. إلخ.

هذا الإعلام الذى صور للناس الفاحشة على أنها أهون كثيراً من الزواج الثانى .. يصور زوجة تعرف أن زوجها على علاقة بأخرى فلا تبالى كثيراً .. أما لو عرفت أنه تزوج غيرها، فإذا بها تعصف به عصفاً إن قدرت عليه . تكيد له المكائد .. فتغار عليه من الحلال، ولا تغار من أن يمارس الحرام .. وهذا هو المنكر بعينه.

قال ﷺ : «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله» (الحديث متفق عليه).

كن شخصا مختلفا

قد يكون للتربية الأسرية الخاطئة دور كبير فى توريث التبعية وعدم الاستغلالية للأطفال، ومحاولة جعل شخصية الطفل تماثل تماماً شخصية الأب أو الأم .

فالأب مثلا قد يسعى جاهدا لمحاولة جعل ابنه تماما مثلما يريد، أو مثلما كان هو .. إنه يريد أن يشبهه ابنه فى تطلعاته للمستقبل، وفى تفكيره وفى سلوكياته بصفة عامة.

إنه لا يدرى أو لا يريد أن يعلم أن لهذا الابن شخصيته المستقلة، والتى تختلف عن شخصية الأب .. وهو لا بريد أن يعزز هذه الشخصية .. إنما يريد أن يحطمها ويستبدلها بشخصيته .. وتلك مشكلة كبيرة تصيب الشخصية الجديدة (شخصية الطفل) بالاهتزاز وعدم الثبات وفقدان الثقة بالنفس، فيفقد الثقة فى شخصيته، ولا يستطيع أن يكون هو الشخصية التى يريدها الأب أو الأم.

ومشكلتنا هى أننا لا نقدر أن لكل منا شخصيته المختلفة عن الآخر.. وأن هناك فروقا فردية كبيرة بيننا.. فأحمد مثلا ينبغ فى الرسم بينما سمير يحب الرياضايات أما آيات فهى تفضل اللغات ... وهكذا ويخطأ الوالدان حين يطلبون من أحمد أن يكون مثل سمير فى الرياضيات أو يطلبون من سمير أن يكون مثل أحمد فى الرسم والفنون .. تلك مواهب وسمات شخصية .. فلكل شخصيته المستقلة التى ينبغى أن نتفهمها ولا نطلب من شخص أن يكون هو الشخص الآخر .. لا نظن أن هذا قد يتسبب فى فشل فلان مثلا .. هذا شىء غير مقبول. فمعايير النجاح والفشل نسبية إلى حد كبير.

كان عبد الله منذ أكثر من ربع قرن طالبا فى المرحلة الإعدادية، كان يحب مادة الرسم حباً جما، وكان حقا رساما من الطراز الأول رغم صغر سنه.

وقد كان ابواه يتفهمان ذلك جيداً، وعلى الرغم من أن درجات عبدالله كانت منخفضة فى باقى المواد الدراسية، فكانت متوسطة تقريباً .. إلا أن والداه لم يجبراه على التخلى عن الرسم والالتفات للمواد الأخرى أكثر أهمية، خصوصا أن مادة الرسم كانت تحوز درجة بسيطة من مجموع الدرجات الكلية، إلا أن تفهم والدا عبد الله لحبه لمادة الرسم، وتشجيعه على تنمية مواهبه فى هذا المجال، ومحافظتهما على عدم إجباره على أن يكون شخصاً آخر غير نفسه .. كل هذا ساعد عبد الله على النجاح فى حياته.

فقد نجح عبدالله فى المرحلة الإعدادية، والتحق بالثانوية، ثم بكلية الفنون الجميلة .. مع العلم أن نجاحه فى المرحلتين الإعدادية والثانوية لم يكن بتفوق، إلا أنه لما التحق بالفنون الجميلة حاز مرتبة الشرف .. وكان ترتيبه الأول، وكان مرشحا لأن يصبح معيدا ثم أستاذا بالجامعة ..

إلا أن ظروفا حالت دون أن يكمل الدراسة العليا، فبعد تخرجه التحق بعمل خاص بهذه الناحية الفنية كان بالنسبة له أكثر ربحا وأعظم فائدة، وهو الآن من أكثر الناس نجاحا فى الحياة العلمية.

ولو قُدر له أن يستمر فى السلك الجامعى لظننت أنه كان سيحدث طفرة فى المجال الفنى. وخلاصة القول أن والدى عبدالله لو لم يتفهما مواهبه وقدراته .. لو دفعاه لأن يكون مثل فلان جاره مثلا الذى يتفوق ويحصل على الدرجات العليا فى الرياضيات واللغة الإنجليزية، أن يترك

الرسم وشأنه .. لو فعل ذلك والداه لما كان عبد الله حصل شيئا فى حياته، ولربما كان قد فشل فى التعليم.

إن المشكلة تنبع من اعتقاد الوالدين، واعتقاد معظم الناس بأن النجاح يقتصر على مجال معين من المجالات .. مثلا كل الآباء يريدون لأبنائهم أن يكونوا أطباء .. صيادلة .. مهندسين .. إلخ.

من ثم يدفع كل واحد منهم ابنه دفعا نحو أحد هذه المجالات .. بغض النظر عن ميوله ورغباته .. كذلك اعتقاد معظم الناس أن السمات المؤهلة للنجاح فى الحياة تتمثل فى : الطاعة – النظام – الالتزام ... إلخ. وعلى سبيل المثال إذا كان الابن يتميز (بالشقاوة) فى المدرسة يخشى الوالدان أن يصبح ابنا فاشلاً .. وإذا كان يعترض على بعض الأمور التى تقبل النقاش ولا يطيع الأوامر جيدا يخشى الوالدان عليه أيضا من الفشل ... إلخ.

والذى يجب أن يتفهمه الوالدان أن النجاح أو الفشل أمران نسبيان بدرجة كبيرة .. وقد يكون الفشل فى طريق ما سبيلاً للنجاح فى طريق آخر.

كما أنه ليس شرطا أن تكون السمات التى يكونها الوالدان عمن يجب أن يكون ناجحاً ... ليس شرطا أن تكون هذه السمات صحيحة على إطلاقها .. بل قد يقود بعضها إلى الفشل.

خصوصا أن معظم هذه السمات يكون قد تعلمها الوالدان من غيرهم، ولم تخضع لتقييم علمى نزيه. أو قد تكون المبالغة فى اتصاف الابن ببعض هذه الصفات قائداً له نحو الفشل.

لماذا لا تترك ابنك يكون كما هو .. لا كما تريد أنت .. أريدك أن

تعرف أنه شخص مختلف .. ليس أحسن ولا أسوأ من فلان .. إنه فقط مختلف عنه.

هذا ما يجب أن تدركه جيداً .. فلا تحاول تغيير شخصيته حتى يصبح مثل فلان أو فلان.

إن هذا ما يصيب البعض بالقلق عندما يكبر.. إنه قد تعود أن يقارن نفسه بالآخرين - مما تعلمه سابقا من والديه - ومن ثم فلا تجده يرتاح لحاله مطلقاً.

فيصاب بالقلق وتدافعه الهموم والأحزان .. ويكون فاقدا للثقة فى نفسه، يفعل ما يظن أن الآخرين يريدون أن يفعله، وليس ما تمليه عليه شخصيته، أو ما يمليه عليه ضميره، إنه يضع نظرات الآخرين موضع الأهمية فى حياته .. فنجد فى كلامه دوماً : يجب أن أكون كغيرى.

أتريدنى أن أتصرف تصرفاً يخالف ما عليه زملائى ؟!.. إلخ من الأقوال الدالة على التبعية وعدم الاستقلالية. وذوبان الشخصية فى شخصيات الآخرين .

والإسلام ديننا الحنيف قد حارب هذه التبعية وعزز الاستقلالية فى الفرد .. فسمى التبعية الإمعية .. من كلمة « إمعة» وهى تتكون من حرفين (إن)، (مع) .. وتعنى إن فعل الناس كذا فأنا معهم.

يقول رسول الله ﷺ :

«لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجنبوا إساءتهم».

فالشخصية الإمعية شخصية هلامية، ضعيفة، والإسلام يحتاج من المسلم أن يكون صاحب شخصية قوية مستقلة .. شخصية متميزة .. ليست كغيرها.

يجب أن تشعر أن شخصيتك متميزة .. وأنك لست كغيرك، لك شخصيتك التى تعتز بها .. لك سماتك: المميزة لك، لك تفكيرك المستقل .. لا تخضع للتأثير أو للذوبان فى غيرك.

يجب أن يكون لك نمطك المميز لك، فلا تأخذ من الآخرين أنماط حياتهم، ولا تتشبه بغيرك إلا فى أعمال الخير والبر والطاعات، لكن لا تحاول أن تكون غيرك.

وعلى سبيل المثال عندما تتلو القرآن لا تحاول أن تقرأ مثل فلان أو فلان .. فله طريقته المميزة له.. وماذا يفيد إن وجدنا نسخاً مكررة من فلان وفلان ؟!

إن حاولت أن تقلد فلانا وفلاناً فى طريقته فلن تضيف سوى نسخة مكررة باهتة .. أما لو قرأت بطريقتك أنت فسوف تضيف شيئاً جديداً .. هذا الشىء هو شخصيتك وتأثرها بالتلاوة، وبحلاوة الكلم الطيب .. القرآن الكريم فلا تقلد غيرك.

ولم تكن التربية النبوية فى مدرسة محمد ﷺ للصحابة الكرام، تنتهج منهج التبعية فى التربية أو التقليد. ولم تكمن لتخرج نسخاً مكررة تحمل نفس السمات والخصائص .. إنما كانت تربية تراعى مبدأ الفروق الفردية .. وتعترف بالقدرات الخاصة لكل فرد، وتقدرها قدرها.

وتأمل معى حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه :

«أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبَى بن كعب، وأفرضهم (يعنى أعلمهم بالفرائض) زيد ابن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

إن اعتزازك بشخصيتك والحفاظ عليها، وعدم الذوبان فى الآخرين .. كل هذا يعمل على الراحة النفسية، ويعمل على دفع القلق والهموم، ويشعرك بالسعادة.

تخلص من العلل الخفية

نحن فى كثير من الأحيان نصنع القلق، ونختار طريق الهموم والأحزان، وليس أدل على ذلك من أن بعضنا يعذب نفسه ببعض العلل والأمراض الخفية، التى هى أمراض قلبية بأيدينا نحن، لا تفرض علينا، ولا نصاب بها نتيجة (فيروسات) ولا (ميكروبات) ولكنها نتيجة خلل فى الفكر، وقلة إيمان بالله تعالى.

ومن أمثلة هذه العلل الخفية «الحسد» .. ذلك أن الشخص الحسود يؤذى نفسه أكثر مما يؤذى غيره، ويعذب نفسه على أمر لا يملكه.

ورحم الله من قال :

لله در الحسد ما أعدله　　　بدأ بصاحبه فقتله

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾ [النساء : ٥٤].

هؤلاء اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا، ما منعهم من الإيمان بمحمد ﷺ إلا الحسد .. أنه كان من العرب ولم يكن من نبى إسرائيل .. فانظر كيف يدمر الحسد أصحابه ؟!

ذهبوا إلى الجحيم، ولم يصدقوا بالنبى الخاتم محمد ﷺ مع علمهم بأنه نبى، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم،، ومع ذلك وحسدا من عند أنفسهم كفروا وتولوا واستغنى الله عنهم، وهو سبحانه غنى حميد، فانظر كيف صنع الحسد بأصحابه، قادهم إلى الكفر، العياذ بالله. ولذلك حذر

النبى ﷺ أمته من الحسد فقال :

«إياكم الحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .. أو قال "العشب"».

وقال ﷺ : «دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء.، هى الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».

وقال الحسن -رضى الله عنه- ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم، وحزن لازم وعبرة لا تنفد، وقال ابن مسعود : لا تعادوا نعم الله، قيل له : ومن يعادى نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .. ولمنصور الفقيه :

ألا قل لمن ظل لى حاسداً .. أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت الأدب على الله فى حكمه .. إذا أنت لم ترض لى ما وهب

ويقال : الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء فحسد إبليس لآدم .. وأما فى الأرض فحسد قابيل لهابيل .. ويقول رجل من قريش :

حسدوا النعمة لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلم

وإذا ما الله أسدى نعمة لم يضرها قول أعداء النعم

وقد كثر بين طائفة من الناس هذا الحسد، ولا هم لهم عند اجتماعهم سوى الكلام عن نعم الله على فلان وفلان .. وهم يحترقون ويتحسرون على حالهم وكيف أن الله أغنى فلانا هذا الذى لا يساى فى نظرهم شيئاً ... رزق فلاناً ذاك بكذا وكذا ... وهكذا يدعون الحسد يأكل حسناتهم ويأكل من بعدها عزيمتهم، ويخرب نفوسهم.

أيها الأخ المسلم : ابتعد عن الحسد، فر منه فرارك من الأسد، ولا تحسد أحدا على ما آتاه الله من فضله، لأنك بذلك كأنك تتهم الخالق عز وجل فى عدله .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .. فكأنك تقول له : قد أعطيت فلاناً الذى لا يستحق .. وتركتنى .. استغفر الله .. هل تريد أن تقسم أنت الأرزاق ؟!

هل أنت أعلم بالخلائق من الله تعالى ؟! اتق الحسد فإن فبه تنشأ البغضاء بين الناس وتترعرع .. وبه ومنه تنشأ المشاحنات والمشكلات والحروب ..

ولِمَ تعذب نفسك، ولِمَ تدع الهموم والأحزان تسيطر عليك بهذا الحسد؟! لا تحسد أحداً على ما أعطاه الله من فضله واستغفر الله .. بهذا تستريح نفسك، وتهدأ وتبتعد عن القلق والهموم والأحزان .. اللهم إنا نعوذ بك من الحسد.

أحب لأخيك ما تحب لنفسك

هذه ليست موعظة، وليست حكمة، بقدر ما هى دواء للنفس من كثير من العلل النفسية، وقانون لجلب السعادة إلى النفوس .. وإن هذا الكلام، وهو كلام خير البشر سيدنا محمد ﷺ، ليس أمراً ثانوياً نأخذ به أو لا نأخذ به، كلا، لكنه أمر ضرورى لا تنصلح النفس الإنسانية إلا به، ولا يكتمل الإيمان إلا باكتماله، يقول ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وعندما تحب لأخيك ماتحب نفسك سوف تشعر بانشراح فى الصدر، وطمأنينة فى النفس، ورضا ما بعده رضا. وعندها فقط سوف تتذوق حلاوة .. هذه الحلاوة هى حلاوة الإيمان .. لن تتذقها باللسان، لكن سوف تتذوقها بالجنان، وسوف تشعر بسعادة نفسية غامرة .. أتعرف لماذا ؟!

لأن سعادتك تزداد عندما تتخلى نفسك عن الكراهية، وعندما يعتمر قلبك بالحب .. سعادتك تزداد عندما تتخلى عن النقاط المظلمة، والمناطق السوداء .. تلك المناطق التى يمثلها الحقد والكراهية والغل والحسد ونحو ذلك .. وهذه كلها تنتهي، وتتساقط عندما تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وعندئذ تشعر بالراحة النفسية العظيمة ..

فلماذا تحسد أخاك ؟! لأنك تحب نفسك أكثر، وتتمنى لها الخير، ولا تتمناه لغيرك من المسلمين، أما حين تحب لغيرك ما تحب لنفسك فسوف ينتهى الحسد ..

قد تقول كل إنسان يحب نفسه أكثر .. نعم، ولا أريدك أن تحب غيرك أكثر مما تحب نفسك، فهذه درجة لا يصل إليها إلا القليل من الناس، وهم

الذين ﴿ ..وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .. (٩) ﴾ [الحشر : ٩]. وهؤلاء فئة خاصة من المؤمنين.

لكنى أطلب منك فقط أن تحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وأن تتمنى له الخير كما تتمنى لنفسك الخير.

أما أن تؤثر غيرك من المؤمنين المقربين على نفسك وأنت تحتاج .. فهذه مرتبة إن وصلت إليها فقد ارتقيت، وعلوت قدراً ومنزلة عظيمة عند الله تعالى.

وهكذا كل العظماء ﴿ ..وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ .. (٩) ﴾

وعندما تصل لهذه المنزلة فإنك سوف تستمتع بسعادة روحية غامرة .. وبفيض من الإيمان ما يسرى فى عرقوك فيحيل نفسك إلى نفس مطئمنة،

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ [الحشر]

اللهم اجعلنا ممن يؤثرون على أنفسم ولو كان بهم خصاصة.

لا تحزن على مافات
واهتم ليومك

ترى لماذا استعاذ النبى ﷺ من الحزن ؟! والحزن هو الحزن على الماضى، وإصابة الإنسان بالهموم على ما حدث من حوادث الماضى.

يقول أنس : كان رسول الله ﷺ يقول : «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز الكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال».

فإن الحزن على ما مضى من الوقت، وعلى ما مضى من الأمور التى لا يمكن استدراكها هذا الحزن هو نوع من العجز، يجعل الإنسان مقيداً ولا يفيده إلا عجزاً وهوناً.

ولذلك نهانا رسول الله ﷺ عن الندم على ما فات من أمور الدنيا، وأن يقول الإنسان : لو أنى فعلت كذا.

فقال ﷺ : «احرص على ما ينفعك، استعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان هذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل. فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

فليس معنى عدم الندم على الماضى ألا يحرص الإنسان على ما ينفعه كلا، فالحديث النبوى الشريف أرشد المسلم أولا إلى أن يحرص على ما ينفعه، وأن يستعين بالله فى ذلك، ثم بين له أن من يستعين بالله فلن يعجز أبداً .. وفى هذا دفع المسلم إلى الثقة فى النجاح وعدم اليأس.

فما عليك إلا أن تؤدى عملك اليوم بإتقان، وتستعين بالله ولن تعجز إن شاء الله، وسيكون الفوز حليفك،

ولكن إن قدر الله أمراً ما لا تريده أنت، أو جاءت الرياح بغير ما تشتهى السفن، فلا تندم وتتحسر على الماضى، وتقول لو أنى فعلت كذا .. ولم أفعل كذا .. لكان ذلك خيراً (مثلا).

كلا، فتلك مقولة العاجز، وتلك تصيب المسلم بالهم والحزن وهذا الحزن لا يدفع لمسقبل أفضل، بل يجعل المسلم يدور فى مكانه.

ولكن المسلم الحق هو من يتحلى بالرضا بالقضاء والقدر، فإن حدث له ما يكره قال : قدر الله وما شاء فعل.

نعم: قال ذلك بنفس راضية مطمئنة، واثقة فيما عند الله، وفى مستقبل أفضل بإذن الله.

هذا هو خلق المسلم، إنه يعيش يومه، ولا يتحسر على ما فات من ماضيه .. لأن الندم على الماضى فى الوقت الحاضر يضيع الحاضر والمستقبل، أنت تعيش اليوم، نعم اليوم، فلم لا تجتهد حتى تجعل يومك هذا أفضل من أمسك ؟ لم لا ؟ كل ما تشتهى فى يومك هذا ؟!

اعتبر يومك هذا هو كل حياتك، نعم هو هكذا، فافعل كل ما ينبغى عليك فعله فى هذا اليوم، لا تنظر إلى الماضى فتحزن عليه، ولا تتطلع إلى المستقبل فتقلق بشأنه أو تخاف منه. يومك هو حياتك، وهذا ما يؤكده الحديث النبوى الشريف : «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

يعنى لا تجهد نفسك فى الاهتمام بما هو آت، فالمستقبل قد كفله الله لك، لا تتطلع لما ليس بيدك !

نحن كثيراً ما نتعب أعصابنا فى التفكير بشأن المستقبل. مع أننا لا نستطيع أن نعمل حياله شيئاً، وقد لا ندركه أيضاً، فقد يموت الإنسان من يومه هذا، فيكون الوقت الذى ضيعه من يومه فى التفكير فى غده نوعاً من الحماقةوالغباء.

إن أناساً كثيرين يضيعون الدقائق بل الساعات بل الأيام وأحياناً الشهور والسنين من أجل الهم والخوف من مستقبل مجهول قد يأتى وقد لا يأتى ... وهذا هو القلق بعينه .. وهو مرض خطير يقول د : (وين داير) : « القلق مرض مستوطن فى ثقافتنا فكل شخص تقريبا يقضى وقتا زائدا عن الحاجة من وقته الحاضر فى قلق من المستقبل.

وكل ذلك من أجل لا شىء فأى لحظة من القلق لن تجعل الأمور أفضل، والحقيقة أن القلق يجعل المرء أقل قدرة على التعامل مع الحاضر» ثم يقول : «معظم القلق يتعلق بأشياء ليست لنا سيطرة عليها، فيمكننا أن نقلق كما نشاء بسبب الحرب أو الاقتصاد أو احتمالات المرض، ولكن القلق لن يجلب السلام ولا الرفاهية الاقتصادية أو احتمالات المرض.

ولكن القلق لن يجلب السلام ولا الرفاهية ولا الاقتصاد ولا الصحة، والإنسان منا كفرد ليس له سيطرة على أى من تلك المجالات، وعلاوة على ذلك فإن الكارثة التى نشعر بالقلق بسببها غالباً ما تكون أقل بشاعة فى الحقيقة عما كانت فى خيالنا».

ويجب هنا أن نفرق بين أمرين : التخطيط للمستقبل والقلق بشأن المستقبل، وكلا الأمرين مختلفان تماماً.

فالتخطيط للمستقبل أمر هام وضرورى، وهو من الحرص على ما

ينفع الوارد فى الحديث الشريف «احرص على ما ينفعك»، والتخطيط عمل إيجابى بناء .. تحدد فيه الأدوات والإمكانات والأطروحات .. إلخ.

لكن القلق بشأن المستقبل هو عمل سلبى جدا، وضار جداً، وللأسف فإن كثيرين يخلطون بين التخطيط للمستقبل والقلق بشأن المستقبل.

وعلى سبيل المثال السيدة (س) كانت شديدة القلق بشأن ابنها وذلك لأنه ضعيف فى اللغة الإنجليزية، وكانت شديدة القلق من رسوبه فى الامتحان الخاص بتلك المادة، ومن ثم كان يصور لها خيالها أن ابنها سيفشل فى التعليم، ومن ثم سيفشل فى حياته ... إلخ ومن ثم فإن هذه السيدة تعيش فى هم ونكد، وقلق مستمر، وهذا هو القلق بشأن المستقبل.

ولو أرادت هذه السيدة أن تكون واقعية لما قلقت بشأن ذلك كله، ولفكرت جدياً فى الأمر الذى ينبغى فعله لتجنب كل هذه المصائب التى تتوقعها، أو يصورها لها خيالها، فالولد ضعيف فى اللغة الإنجليزية ! فهو مثلا يحتاج إلى زيادة اهتمام بهذه المادة، إذن كيف يمكن ذلك !

مثلا عن طريق حصص زائدة، أو مدرس آخر يحسن استيعاب التلميذ .. إلخ. إذن هناك عدة وسائل لذلك، فلتطرق إحدى هذه الوسائل، ثم تتابع الابن، وتترك بعد ذلك الأمر لله. فتكون قد أخذت بالأسباب المؤدية لنجاحه فى هذه المادة، فإن لم ينجح التلميذ بعد ذلك، أو حدث أمر ما، فلنتقبل الأمر، ولتقل الحمد لله، ولتبحث له عن فرصة أخرى للنجاح.

ثم لنفترض أنه قد فشل فى التعليم الرسمى، فهذا ليس معناه أنه سيفشل فى حياته، فكثيرون من الناجحين فى حياتهم العملية متوسطى التعليم أو أقل من ذلك، وفرص الحياة كثيرة.

المهم أن تعيش بصورة طبيعية، سعيداً فى حياتك، ولا تحمل هم مستقبل قد كفله الله تعالى لك.

ربما أنك لم تقتنع بعد عمليا بهذا الأمر، إذن استمع إلى هذه القصة القصيرة التى يرويها دايل كارنيجى فى (دع القلق) فيقول : «لقد أوشك (إدوارد إيفانز) من أهالى ديترويت أن يقتل نفسه قلقا واكتئاباً، قبل أن يتعلم أن قيمة الحياة فى أن يحياها، فى أن يحيا كل يوم منها، وكل ساعة، نشأ (إيفانز) فقيراً، معدما، يكتسب رزقه من بيع الجرائد، واشتغل كاتبا فى محل بقالة، ثم التحق بوظيفة مساعد لمدير مكتبة، كل ذلك وهو يعول سبعة أشخاص، ويكد ليوفر لهم القوت، ورغم أن أجره عن عمله الأخير كان ضئيلا، فإنه كان يخشى الاستقالة منه، مخافة أن يتضور هو وعائلته جوعاً، وانقضت ثمانية أعوام قبل أن يستجمع (إيفانز) أطراف شجاعته، ليبدأ عملا مستقلا، وقد بدأ عمله المستقل برأس مال مقترض قدره خمسة وخمسون دولاراً، لكنه أصبح يربح عشرين ألف دولار فى العام!

ثم حلت به نكبة، فقد أمد صديقا له بمبلغ كبير من المال فما لبث الصديق أن أفلس !

وفى أعقاب هذه الكارثة حلت كارثة أخرى. فقد أفلس بدوره المصرف الذى يودع فيه (إيفانز) أمواله جميعاً، وأصبح (إيفانز) مفلسا لا يملك مليما واحدا. بل أصبح مدينا بمبلغ ستة عشر ألف دولار.

ولم تتحمل أعصابه ذلك كله، قال : «لم أستطع أن آكل أو أنام .. وانتابنى المرض .. المرض الذى جره على القلق، ولا شىء غير القلق، وبينما أنا أسير ذات يوم أدركنى الإعياء، وتهاويت فى عرض الطريق، وحملنى

الناس إلى بيتى، ولم ألبث حتى تفجر فى جسمى بثور مؤلمة، حتى أن مجرد البقاء فى الفراش أصبح محنة شديدة، وكان هزالى يزداد يوما بعد يوم.

وأخيرا أنهى إلى الطبيب أننى لن أمكث حيا أكثر من أسبوعين ؟ وصدقت ذلك وكتبت وصيتى، ولبثت فى الفراش أنتظر النهاية المحتومة، لم يعد يجدى إذ ذاك الخوف أو القلق، ومن ثم امتثلت للأقدار واسترخيت، ورحت فى نوم عميق. ولم يكن مجموع ما قطعته فى النوم خلال الأسابيع الماضية يزيد على ساعتين!

ولكنى وقد أوشكت مشكلتى أن تحل بالموت، استغرقت فى النوم كالطفل، وبدأت المتاعب التى أحس بها تختفى، وعادت إلىّ شهيتى، وازداد وزنى مرة أخرى، لفرط دهشتى!

ومرت أسابيع قليلة، فاستطعت أن أمشى متوكئا على عصاتين، ثم مرت ست أسابيع فاستطعت أن أعود مرة أخرى للعمل !

وكنت قبل مرضى أربح عشرين ألف دولار فى السنة، ولكنى اليوم قانع بعمل يدر على ثلاثين دولاراً فى الأسبع، ولقد وعيت الدرس الآن.

فمحوت القلق من نفسى، وركزت كل وقتى وحماستى ونشاطى فى عملى الجديد، وقد تقدم (إيفانز) كثيراً فى عمله المتواضع ذلك، فلم تمض «سنوات قلائل حتى أصبح مديرا للشركة التى يعمل بها .. شركة (إيفانز للإنتاج)، وعندما توفى (إيفانز) عام ١٩٤٥ كان يعد رجلا من أشهر رجال الأعمال فى الولايات المتحدة نجاحاً. وإذا قدر لك أن تطير فوق جرين لاند فقد تهبط فى (مطار إيفانز) المطار الذى أطلق عليه اسمه تخليدا لذكراه.

وإليك مغزى هذه القصة : لم يكن (إدوارد إيفانز) ليحرز النجاح الذى أحرزه فى ميدان الأعمال، وفى الحياة عموماً، لو لم يقدر له أن يعيش فى حدود يومه. وأن يمحو القلق على الماضى والمستقبل.

ومنذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد قال الفيلسوف الإغريقى (هرقليط): كل شىء يتغير إلا «قانون التغير» إنكم لا تهبطون نهرا بعينه مرتين .. فالنهر يتغير كل ثانية، وكذلك الرجل الذى يهبطه. فالحياة فى تغير لا ينقطع.

والشىء الأكيد فى هذه الحياة هو اللحظة التى نعيش فيها. فلماذا نشوه جمال لحظتنا هذه، ويومنا هذا، يحمل هموم المستقبل الذى يخضع لقانون التغير».

هكذا يفصح (كارنيجى) بقصصه الممتعة عن الحقائق، وهكذا نرى أن الناس لا يتعلمون إلا بعد أحداث جسام قد لا يسلمون بعدها.

فنحن الآن أمامنا هذه القصة وغيرها عشرات القصص والأمثال، وأمامنا وصايا نبوية حكيمة بعدم الحزن على الماضى ولا الهم والغم للمستقبل.. بل أن نعيش يومنا هذا الذى نعيشه بالفعل، وقد يقول قائل : أليس من حقى أن أقلق بشأن عملى الذى يمكن أن يضطرب لأمور كثيرة قد تحدث عن قريب نتيجة لظروف كذا وكذا ؟

وقد تقول سيدة : أليس من حقى أن أقلق بشأن طفلى الذى لا يرضع بطريقة جيدة، ويكثر البكاء .. إلخ.

أقول : لا .. ليس من حقه هذا ولا ذاك أن يقلب شأن أى من هذه الأمور.. إن من حقه أن يتصرف حيالها التصرف المناسب المستطاع .. ثم يستعين بالله ولا يعجز .. ولا يقلق .. إن فلسفة القلق على من نحب فلسفة

تعلمناها ونحن صغار، وهى غير سليمة، ونتيجة تربية خاطئة، وقد آن الأوان لنتخلص منها. ثم تعال معى بالله عليك نتفكر فى الأمر قليلاً وبعيداً عن الفلسفة والكلام والحجج والبراهين.

لنفترض أنك تأكل اليوم (تفاحاً) جميل الطعم، حلو المذاق وتجلس فى جو دافىء مشمس وأنت فى فصل الشتاء .. فهل يؤثر فى سعادتك فى هذه اللحظة وفى هذا اليوم.. هل يؤثر فى استمتاعك بهذا الطعام وبذلك الجو المنعش.. هل يؤثر فى ذلك أنك تعبت تعباً شديداً العام الماضى مثلا ؟! أو أنك خسرت خسارة فادحة منذ شهور .. إلخ ؟ بالطبع لا. إنك الآن تستمتع بيومك بلحظتك .. فعش هذه اللحظة، وهذا اليوم ولا تنغصها، ولا تفقدها بهجتها بالقلق بشأن المستقبل الذى قد يترائى لك مظلماً .. وهو بيد الله لا تعلم لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً !!

قل لنفسك إنى أعيش اليوم، فلم أقلق بشأن المستقبل؟ ولم أهتم بما حدث فى الماضى ؟ استمتع بيومك .. وافعل فيه ما ينفعك، وابذل فيه قصارى جهدك، وافعل فيه ما تستطيع من أوجه الخير .. أطعم جائعًا، زر مريضاً، صم يوما لله .. إلخ.

قال رسول الله ﷺ : «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر -رضى الله عنه- : أنا، قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر أنا، قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبو بكر : أنا، قال رسول الله ﷺ : ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة».

فنظم يومك أيها الأخ المسلم حتى تستفيد بكل جزء فيه، فيما ينفك فى دنياك وآخرتك، تسعد فى الدنيا، وتكن فى الآخرة من الفائزين.

كيف تصبح غنيا

يظن البعض أن الإسلام يحارب الغنى، ويحض على الفقر .. وهذا كلام غير صحيح. فكيف يظن مسلم أن الإسلام يحض على الفقر ورسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الفقر ؟!

قال ﷺ : «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر».

ولاحظ كيف قرن النبى ﷺ بين الكفر والفقر.

وكيف يحض الإسلام على الفقر والله تعالى قد امتن على نبيه بالغنى فقال :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) ﴾ [الضحى].

النبى ﷺ قد امتدح الغنى الصالح فقال :

«نعم المال الصالح للرجل الصالح».

فالإسلام لا يحض على الفقر، ولكن الإسلام يصحح النظر إلى معنى الغنى، فالغنى ليس معناه كثرة المال فى يد الإنسان. ولكن الغنى هو القناعة والرضا بما يكسب الإنسان، سواء كان كثيراً أو قليلاً.

فالغنى فى النفس، وليس فيما يملك المرء .. وعلى سبيل المثال قد يكون لدى أحمد عشرة آلاف جنيه وهو قانع بعمله، راض بما قسم الله له، منشرح الصدر لأنه يعمل ويكسب مثل هذا المبلغ .. فهذا غنى.

وقد يكون لدى أسامة مليون جنيه، لكنه غير قانع بهذا المبلغ، فهو يطلب المزيد، ويقلق على هذا المال أن يُنتقص، وغير راض عن تجارته أنها

تدر عليه مثل هذا المبلغ ويشعر أن احتياجاته أكبر بكثير من هذا المال، وأنه ينبغى على هذا المال أن يتضاعف، فإذا تضاعف لم يقنع أيضا .. وظل يطلب المزيد ولا يشعر بالرضا ويقلق بشأن المستقبل، فهذا فقير رغم كثرة ماله.

ولهذا يقول رسول الله ﷺ : «ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس».

فإذا أردت أن تصبح غنيا فإن عليك أن تعمل ثم ترضى بما قسم الله لك، وتحمد الله عليه، وترضى به. وهذا لا يمنعك من التطلع نحو الأفضل. لكن لا تقلق بشأن ما لديك من مال، يزيد أو ينقص هذا أمر بيد الله تعالى، وأنت لا تملك سوى التخطيط والعمل. أما النتائج فارض بها حيث كانت.. وكن سعيداً بما يرزقك الله به.

عندئذ فقط ستصبح غنياً. إن أكثر متاعب الناس، وقلقهم سببه الخوف على المال. والتطلع للدنيا بنهم وشغف، وكأن الدنيا سوف تتركهم وتذهب.

وهذا مرض معد خطير، وعدوى هذا المرض انتقلت إلينا عبر أجهزة الإعلام، التى صورت لنا الدنيا على أنها صراع على المال والملايين، وهى بدورها انتقلت لها العدوى من أجهزة الإعلام الغربية التى تعبد الدولار، وتسبح بحمده،

هذا ما جعل الناس تلهث وراء المال غير قانعة بأى ربح. تطلب المزيد، وتسعى إليه من أى باب، وتسلك له كافة الطرق، لا تسأل فى ذلك عن الحلال والحرام، ولا عن حقوق الآخرين من الفقراء والمساكين، إنها عدوى

الحياة المادية البغيضة التى لا تقيم وزنا إلا للمال، ولا تصنع علاقات إلا من أجل المال.

بل وتسخر ممن ليس لديه مال وتعتبره لا وزن له ولا قيمة مهما ارتفع شأنه معنويا. وكما قلنا الإسلام ليس ضد الغني، لكنه ضد أن يصبح هو المقياس والميزان بين الناس.

ولهذا أراد النبى ﷺ أن يصحح هذا المفهوم عند الصحابة فعن سهل قال: «مر رجل على رسول الله ﷺ فقال : «ماتقولون فى هذا؟ قالوا: حرى إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يُسمع، قال : ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حرى إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال لا يُسمع. فقال رسول الله ﷺ : «هذا خير من ملء الأرض من هذا».

فالغنى ليس هو كل شيء، وصاحب المال ليس هو الأفضل دائما، ومقياس التقوى هو المقياس الذى يعرفه الإسلام للتفاضل بين الناس.

فلا تجرفنا تيارات المادية البحتة لتنسينا العلاقات الاجتماعية الحميمة، ولا تخدعنا وسائل الإعلام ببريق المادة اللامع فتجعلنا نلهث وراءها ونحزن ونقلق بشأنها، وننسى أن الغنى فى النفس قبل أن يكون فى المادة، وأنه لا شيء يساوى القلق النفسى مهما اغتنى الإنسان.

لا تكن جامدا

مما يتسبب فى شقاء بعض الناس جمودهم على أمر معين، وعدم القبول بغيره. ومثال ذلك أن يضع الشخص أمامه هدفا معينا فإن لم يقدر على تحقيقه أو حالت الظروف دون أن يظفر به، يتسبب ذلك فى انهياره، وكأنه يقول هذا الأمر فقط وليس غيره ..

مثل الشاب الذى يريد الزواج من فتاة معينة وتحول الظروف دون زواجهما فينهار، ويرفض الحياة، ولا يتصور الحياة بدونها .. هذا الجمود على أمر معين هو حقا أحد مصادر التعاسة والشقاء لذلك الشخص الجامد.

إن هذا الشخص يجب عليه أن يعرف أن الدنيا متسعة المجالات، وتحتاج لمرونة من الناس، وأنه ليس هناك هدف واحد لو لم يحدث انتهى الأمر، كلا، والشخص الواحد قد ينجح فى كثير من المجالات التى قد لا يظن هو نفسه أنه لا يمكنه خوض غمارها.

وعندما نتخلى عن الجمود سنرى أمامنا مجالات كثيرة حقا لم يكن يمكننا يوما أن نفكر فيها. قد نقول مثلا : أنا لا أنفع فى التجارة ولا يمكننى أن أتاجر. وقد تقدم عدداً من المبررات، ولكن هل جربت فعلا أن تقومبالتجارة؟!

جرب ربما تنجح فيها نجاحاً لم تكن تتوقعه.

لا تظن أنك طالما افتقدت عملاً معيناً أنك بذلك خسرت كل شىء، كلاً، فقد تجد عملاً أفضل منه بكثير. ولا تظن أنك حين حالت الظروف بينك وبين الزواج من فتاة معينة أنك لن تجد مثلها. كلا فقد تجد خيراً منها، فقط

كن مرناً، لا تضع أمامك خياراً واحداً فإذا خسرته تكون قد خسرت كل شيء.

أؤكد لك إن أنت وضعت فى اعتبارك هذا الكلام وأخذت به، فإنك لن تعانى قط من الفقر !!

ماذا يجعلك تفتقر؟ إنه عدم وجود العمل، أو وجود عمل غير ملائم أو دخله قليل لا يكفيك.. فلماذالا تبحث عن عمل آخر أكثر ربحا ؟!

قد تقول لا يوجد عمل آخر يناسبنى !! إن المشكلة تكمن فى كلمة يناسبى . إن الكثيرين يضعون حواجز كثيرة عند هذه الكلمة.

ثم لا يجدون ما يناسبهم سوى عمل واحد، وهو الذى يعملونه ولا يدر عليهم ما يكفيهم.. إذن فلا يلوموا إلا أنفسهم.

أما لو وسعت الدائرة، وأفسحت المجال لكثير من الأعمال التى لم تجربها من قبل، فقد تنجح فى إحداها، ويكون نجاحا غير متوقع.

لا تخف من الفشل .. الخوف من الفشل أمر يجب التخلص منه لأنه يمثل منطقة مظلمة فى النفس الإنسانية .. هذا الخوف يحول دون نجاحك فى الحياة.

وبالأحرى يحول دون أن تصبح متميزا !! ولذا أقول لك :

تخلص من الخوف
من فشلك

إن الخوف من الفشل يكاد يكون فى قرارة نفس كل واحد منا، وليس ذلك شيئا فرطيا بقدر ما هو مكتسب، وتؤثر فيه التربية الاجتماعية بدرجة كبيرة.

ذلك أن الأهل وفى سن الطفولة كانوا دائما يخوفوننا من الفشل، حتى كبرنا وشبح الفشل ماثل أمام أعيننا، ومن ثم أصبحنا نخاف من المجهول.

فأصبحنا لا نقدم على عمل ليس لدينا به سابق معرفة، لا نقدم على عمل إلا إذا كان مجرباً من قبل. ولا نقيم مشروعا تجاريا إلا تقليداً لغيرنا الذى أقامه من قبل فنجح فيه.

بل إن الكثيرين منا لديهم خوف من الفشل غير مبرر، رغم أنهم يملكون أدوات ما يقدمون عليه ولديهم الاستعداد الكامل لعمله، وبالرغم من ذلك يخافون من الإقدام عليه خوفا من الفشل .. يقول د. وين داير فى كتابه (فى رواق السعادة) : الخوف من الفشل خوف شديد فى مجتمعنا، خوف منطبع فى الذهن منذ الطفولة، وثابت بالأكثر طوال الحياة ..

قد تندهش عند سماعك هذا الشىء ذاك أن الفشل لا وجود له. الفشل ببساطة هو رأى إنسان فى آخر عن كيفية إجازة عمل ما. وما أن تعتقد أنه ليس ثمة عمل ينبغى أداؤه بأية طريقة معينة موجهة على نحو آخر، فإن الفشل يغدو مستحيلا.

ومع ذلك قد يكون هناك ظروف تفشل عندها فى أداء مهمة تبعا لمعايرك الخاصة، المهم هنا ليس فى مساواة العمل بقيمتك الخاصة. فعدم النجاح فى محاولة معينة ليس معناه أنك فشلت كشخص، إنه ببساطة عدم النجاح فى تلك المحاولة المعينة فى اللحظة الراهنة.

تخيل الفشل كوصف لسلوك حيوان ما، فكر فى كلب ينبح خمس عشرة دقيقة قد أعطيته فى نباحه هذا مائة درجة. وتخيل شخصا يقول : (هذا الكلب لا ينبح جيداً) سوف أعطيه درجة ضعيف. يا للسخف ! من المستحيل أن يفشل حيوان لأنه لا يوجد مرجع لتقييم السلوك الطبيعى للحيان ... والقطط تصيد الفئران، فإذا لم تنجح فى محاولة واحدة فإنها ببساطة تحاول مرة أخري، ولا ترقد ثم تمؤ تشكو من الفأر الذى فر. أو تصاب بانهيار عصبى لأنها فشلت ، إنه مجرد سلوك طبيعى ! ومن ثم لا تطبق المنطق نفسه على سلوكك وتتحرر من الخوف من الفشل ؟!».

إن الخوف من الفشل يمنعنا من خوض تجارب كثيرة قد تكون مثيرة، ومفيدة لنا، وإن الذين يتحررون من الخوف من الفشل هم أنجح الشخصيات التى نراها.

لا تخف من نظر الناس إليك، أو شماتتهم بك إذا فشلت مرة .. أو أكثر، ولا تضع هذا فى اعتبارك مطلقا. بل اجعل من الفشل - إن فشلت مرة - اجعل منه مفتاحاً للنجاح ذلك لأن الفشل هو حقا مفتاح النجاح، ومن لا يفشل مرة فلن يحالفه الحظ فى النجاح فى الحياة عموما. اللهم إلا قليلا من النوادر.

إن العظماء جميعهم تعرضوا للفشل فى حيواتهم مرة احدة على

الأقل. ولولا هذا الفشل لما صمموا على النجاح فى الحياة، وعلى أن يصبحوا أشخاصاً لهم مكانة فى هذا العالم.

كما أن الفشل فى أمر ما يجعلك تتعرف على نقاط الضعف والقوة فى شخصيتك، فتنمى الثانية وتتخلص من الأولى.

إنه يجب علينا أن نفرق بين أمرين، بين الفشل وبين قوة الشخصية واحترام الشخص لذاته، يعنى أن الفشل يجب ألا يعنى مطلقاً فقدان الشخص لاحترام ذاته. لا يعنى مطلقا ضعف الشخصية.

«وإذا ساوى المرء فشله ونجاحه بقيمته لشخصه فمصيره أن تلحق به مشاعر انعدام قيمة الذات، ولنفكر فى (توماس أديسون) فلو أنه فسر فشله فى أى عمل قام به كدليل على جدارته الذاتية لتوقف عن العمل بعد إخفاقه فى أولى محاولاته، ولوصف نفسه بأنه فاشل وكف عن محاولاته لإضاءة العالم..»

حقا إن الخوف من الفشل يقف حجر عثرة فى طريقنا نحو التطور، فنقف مكتوفى الأيدى قلقين مهمومين بشأن الكثير من الأمور وذلك لخوفنا من الفشل .. ألم يأن الأوان للتخلص من هذا الشعور الآثم ؟!

ارض بقدر الله

كثير ممن يشتكون من القلق مصادر قلقهم ومشاكلهم أمور ليس منها بد، وهى من القدر الذى لا مرد له من الله، ومشكلتهم تكمن فى عدم الرضا بالقدر.

أو عدم التسليم به، أو عدم التكيف مع الوضع الجديد، ذلك أن عدم التكيف مع وضع ما بعد وقوع بعض الكوارث أو المصائب أمر يصيب بعض ضعاف الإيمان، وهو أمر خطير جدا، وطريق إلى المرض النفسى.

ولقد أرشدنا ديننا الحنيف إلى الاستعانة بالصبر عند مواجهة الشدائد، بل وبين لنا أن الابتلاء ببعض الفتن أمر وارد، ومن ثم يجب علينا أن نحسن التعامل معه، والصبر عليه، والرضا بما قسم الله تعالى. ولا نجزع عند حدث مثل تلك الشدائد، قال الله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة].

المسلم الحق هو من يتحمل الشدائد بقلب ثابت، ويقين راسخ، وصبر جميل، فلا يجزع، ولا يقول ما يغضب الله تعالى كقول بعض الناس مثلا: لماذا أصاب أنا دون بقية الناس بهذه المصائب؟ فهذا قول غير المؤمنين، أما المؤمن فيعلم أن قدر الله تعالى خير له، فى دنياه وآخرته، مهما كان هذا القدر يبدو فى ظاهره مصيبة عظيمة، وحدثا جللاً إلا أنه خير للمؤمن.

والله تعالى لا يقدر للمسلم إلا الخير دائما، يقول رسول الله ﷺ :

«عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له».

والشكر والصبر جزاؤهما الجنة.. كما أن هناك وجها آخر للقدر نحن لا نعرفه ولا ندركه، يعلمه الله تعالى، وقد يستبين لنا فى الدنيا، وقد لا يستبين.

لكن على المسلم أن يقول : قدر الله وما شاء فعل، ويرضى بقضاء الله وقدره، وعليه أن يعلم أن هذا القدر إن صبر عليه سيكون خيراً، وعاقبته حسنى وسيبدله الله خيراً منه.

قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ [البقرة].

فقد يحدث لك مكروه يكون فى ظاهره العذاب لكن فى باطنه الرحمة، وستعلم نبأه بعد حين.

فلا تعذب نفسك أخى المسلم بعدم رضاك بقضاء الله وقدره، ولا تعذب نفسك بأن تقول لها : لقد كنت أستطيع أن أمنع هذا الأمر لو أنى فعلت كذا.. فتظل تتحسر وتندم على ما فات ومهما ندمت، ومهما فعلت فلن تسترجعه، فلماذا تبكى على اللبن المسكوب ؟!

لقد حذرنا النبى ﷺ من مثل هذا السلوك اليائس، الذى يعذب فيه المرء نفسه حين يظن أنه كان يستطيع أن يمنع القدر لو فعل كذا أو كذا.

يقول ﷺ:

«ولا تقل لو إنى فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان ».

نعم كلمة لو تفتح عمل الشيطان، فلا تظن أنك كان باستطاعتك منع ماحدث. طالما أنه قد حدث بالفعل، فهو قدر، وكان لابد أن يحدث، فلا تفكر فيه وفكر فيما بقى.

واعلم أن قدر الله نافذ لا محالة، فإن صدقت به وصبرت، وحمدت ربك واسترجعت فأنت بذلك من الفائزين الناجين، أما إن جزعت واعترضت، وحزنت وتسخطت فأنت من الخاسرين، وقدر الله نافذ أيضا. فأولى لك أن تحمد الله تعالى وتسترجع عند أول صدمة للموقف، ولا تسخط ثم بعد أن تهدأ تقول : إنى صابر، إنما «الصبر عند الصدمة الأولى» كما جاء فى الحديث الشريف .. واعلم أن الله تعالى يبتلى من يحب .. وأن : «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل» كما قال ﷺ.

أحسن إلى غيرك

لا يوجد شيء أعظم لإزالة القلق من إسداء المعروف إلى الآخرين، والإحسان إلى الغير. هذه ليست موعظة بقدر ما هي حقيقة نفسية، يقررها علماء النفس قبل علماء الدين.

وإذا أردت أن تعرف صدقها. فجرب، جرب أن تحسن إلى غيرك، أن تسدى المعروف إلى الآخرين، أن تقدم لغيرك خدمة بغير مقابل مادى.

وسترى مدى الانشراح الذى سوف تستشعر حلاوته فى قلبك، لقد جاء رجل يشتكى إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، إنه جاء يشتكى أنه يشعر بهموم وغموم وقلق.. وهذا ما يجعل المرء يشعر بقسوة القلب، تُرى ماذا قال له الحبيب – صلى الله عليه وسلم– ؟!

قال ﷺ : «امسح رأس اليتيم، واطعم المسكين»(١).

أهذا ما يزيل قسوة القلب يارسول الله ؟! نعم، إنه هو ، يقول علماء النفس إنك تستشعر السعادة عندما ترى غيرك سعيداً. وتستشعر السعادة أكثر عندما تكون أنت نفسك سببا فى إسعاد غيرك. يقول «تيودور دريزر» وهو أحد علماء أمريكا – وهو رجل ملحد غير متدين – يقول :

«إذا شاء الرجل أن يستخلص من الحياة المتعة، فعليه أن يساهم فى اجتلاب المتعة للآخرين، فإن متعة الشخص تعتمد على متعة الآخرين، ومتعة الآخرين تعتمد على متعته».

فإن هذا الرجل يقرر، ومن منطلق مادى بحت، من منطلق السعادة

(١) رواه أحمد فى المسند والبيهقى فى الكبرى وفى الشعب.

الدنيوية فحسب، يقرر أن متعة الشخص تتوقف على متعة الآخرين. فما بالك وأنت المسلم تعرف أن صنع المعروف والإحسان إلى الغير لا يجلب المتعة الدنيوية فحسب، بل يجلب المتعة الأخروية كذلك، والسعادة الدائمة.

هذا فضلا عن أن صنع المعروف يقى المرء فى الدنيا مصارع السوء، كما جاء فى الحديث النبوى الشريف، حيث قال ﷺ :

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء. وأهل المعروف فى الدنيا، هم أهل المعروف فى الآخرة، وأول من يدخل الجنة هم أهل المعروف»(١).

وإن الله تعالى يفرج الكروب عمن يساعد غيره فى الدنيا، وعمن يعين غيره عند الأزمات، فالأمر لن يمر هكذا هباء، بل سيكون الجزاء من جنس العمل. ولو كان هذا فحسب لكفى سببا لصنع المعروف، يقول ﷺ :

«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ...»(٢)

فأنت بفعلك الخير، وبتقديمك العون لغيرك.. تنال رضا الله تعالى عنك، وأن يوفقك الله، ويكون عونا لك على أمور دنياك، وينفس عنك من كرب الآخرة.

وهل هناك أعظم من هذا عطاء ؟ إن الذى يعيش لنفسه فقط لا يشعر ببهجة الحياة ومتعتها قط، وتراه دائما مهموماً محزوناً.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الأوسط والكبير ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير .

(٢) رواه مسلم وغيره .

وصدق من قال «ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط» إنه يظن أنه يساعد نفسه، وأنه يجمع لها الخير عندما يمتنع عن مساعدة غيره، ويظن أنه بمساعدته غيره سيخسر مادياً. قد يكون هذا صحيحا، قد يخسر خسارة مادية بسيطة إن قسمنا الأمر بمقياس الدنيا، لكن هو فى الحقيقة لا يخسر شيئا.

فمن ناحية المكسب المادى فإن الله تعالى يبارك له فى رزقه، وفى عمله بمساعدته غيره .. لأن (الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه) وكيف بمن كان الله فى عونه.

هذا أمر، وأمر آخر وبافتراض أنه يخسر خسارة مادية بسيطة فإن المكسب المعنوى الذى يكتسبه بمساندته ومساعدته غيره. هذا المكسب المعنوى أعظم بكثير من الخسارة المادية المتوقعة.

الجاذبية الشخصية
وسكينة النفس(١)

إن سكينة النفس هى الاستمتاع بثمرات هذه الصحة، وذلك بالتخلص من المنغصات التى لا يهرب منها أحد فى هذا العصر، وإنما تتأتى سكينة النفس باتخاذها فلسفة فى الحياة قائمة على أساس النضج العاطفى المكتمل بمقتضاها تواجه هذه المنغصات مواجهة واقعية إيجابية، وأول أعداء سكينة النفس فى عصرنا الحاضر هو القلق.

حياتك من صنع أفكارك :

إن المشكلة الكبرى التى تواجهنا جميعا هى كيف نختار الأفكار الصائبة السديدة، فإذا حللنا هذه المشكلة حلت سائر مشكلاتنا، وزالت إحداها إثر الأخرى، وقد لخص الفيلسوف ماركوس أوريليوس الذى حكم الامبراطورية الرومانية، هذه المشكلة فى هذه العبارة الموجزة التى يمكنها أن تغير مجرى حياتنا، وهى :

«إن حياتنا من صنع أفكارنا».

أجل، فإذا نحن راودتنا أفكار سعيدة كنا سعداء، وإذا تملكتنا أفكار شقية أصبحنا أشقياء، وإذا ساورتنا أفكار مزعجة صرنا خائفين جبناء، وإذا سيطرت علينا أفكار المرض والسقم فإننا نمسى مرضى سقماء، ولذلك يقول الرسول الكريم محمد ﷺ: «لا تتمارضوا فتمرضوا فتموتوا»، أما إذا فكرنا فى الفشل فإن الفشل يأتينا من غير إبطاء.

---

(١) كيف تصبح جذابا د. محمد إبراهيم الضبع - الروضة للنشر والتوزيع .

أترانا بهذا ندعو إلى اتخاذ موقف سلبى تجاه كل ما يعترضنا من مشكلات ؟ كلا، فالحياة لسوء الحظ لا تعفينا قط من العمل، إنما ندعو إلى اتخاذ موقف إيجابى، بمعنى أن تواجه مشكلاتك لا أن تقلق من أجلها، فما الفرق بين مواجهة المشكلات والقلق من أجلها، دعنا نضرب لذلك الأمثلة :

- فى كل مرة أعبر فيها أحد الشوارع المكتظة بالمواصلات فإننى أواجه ما أنا فاعله، ولا أقلق من أجله، فالمواجهة معناها إدراك كنه المشكلة، واتخاذ الخطوات اللازمة إيجابيا نحو حلها فى هدوء واتزان، أما القلق فمعناه اللف والدوران حول المشكلة على غير هدى.

- هب أنك نائم فى غرفة لها بلكونة مغلقة، وأثناء نومك يصل إلى مسامعك صوت مزعج من البلكونة ولا تستطيع تحديد كنهه، ولكنه يصيبك بالقلق، ويدفع إلى ذهنك بآلاف الاحتمالات التى قد تصل بك إلى حد الرعب والجنون .. إنه لمن المجدى هنا أن تواجه المشكلة، أى أن تفتح البلكونة وليكن ما يكون، فقد يكون كل ما يحدث هذا القلق هو كيس بلاستيك يتلاعب به الهواء.

إننا لو داعبنا الأفكار الإنشائية المشجعة الهادئة، والقصائد الجميلة، لاستطعنا أن نستمع بكل لحظة من حياتنا، حتى ولو كنا على فراش الموت أو مساقين إلى حبل المشنقة.

وقد وقع الشاعر ملتون على هذه الحقيقة منذ ٣٠٠ عام، وذلك على الرغم من فقد بصره، فقال :

«فى وسع العقل أن يخلق وهو فى مكانه مقيم جحيما من الجنة، أو نعيما من الجحيم»

من الأشخاص الذين ينطبق عليهم كلام ملتون هذا، نابليون بونابرت، وهيلين كيللر، فقد حصل نابليون على أعظم جاه وسلطان ومجد، ورغم ذلك فقد قال يوما فى منفاه فى جزيرة سانت هيلانة : إننى لم أذق فى حياتى السعادة الحقة ستة أيام سويا. على حين صرحت هيلين كيللر يوما - وهى العمياء الصماء البكماء - بقولها : لقد استمعت بمباهج الحياة ونعمت بجمالها.

ولا تحسب أن شيئا خارجيا على الإطلاق يمكنه أن يمنحك الراحة والإطمئنان سوى نفسك.

هل يمكن أن تجعل أبناءك شخصيات جذابة ؟

لا شك أن أبناءنا يتعرضون اليوم لمؤثرات مهيجة، لم يكن لأجدادهم عهد بها، وإنك لترى الأطفال يضطرون إلى السهر ليلا فى غمرة الضوء الكهربائى الذى يحيل الليل نهاراً، وتراهم يحملون حملا إلى دور السينما، ولا يجدى بكاؤهم أثناء عرض الرواية، وتوسلاتهم إلى ذويهم أن يأخذوهم إلى البيت ويودعوهم مخادعهم.

فإذا شبوا شيئاً ألفيتهم قد أدمنوا «السينما»، وألفيت عقولهم القاصرة تتعرض لمشكلات ومناظر أخلق أن تحرم على الناضجين أنفسهم ولم يعد محل بحث أن كثيرا من شباب هذا الجيل قد استوحوا أكثر اتجاهاتهم الذهنية من روايات الإجرام، و «أفلام» العصابات التى تركزت عليها الأضواء زمنا طويلاً وتأثير ضجيج المذياع على الأجهزة العصبية للأطفال لا يمكن تقديره.

كما أن قراءة أنباء القتل والإجرام، والاستماع إلى تفاصيل الغارات الجوية العنيفة لا يمكن أن تؤدى إلى النوم الهنىء المرىء. فلهذا الضغط الزائد كله على أذهان الأطفال، وجب أن ينفسوا عن توترهم بالألعاب الرياضية، يزاولونها وقتا كافياً خارج البيت،

فلو أن الأطفال زحموا يومهم كله بتلقى الدراسة صباحاً، ومتابعتها مساء، دون أن يمنحوا وقتا يقضونه فى اللهو والرياضة خارج البيت، لنال من أذهانهم ولغدوا، كنتيجة لهذا، فرائس سهلة للتهيج، والهزال، والإعياء.

وكثير من شبان اليوم يبدأون حياتهم، وقد أوشكت شعلة حيويتهم

على الانطفاء ! بل إن كثيرا منهم تخمد جذوتهم وهم مازالوا يتابعون دراستهم، فهل من عجب، مع هذا الضغط الواقع على شبابنا من البرامج الدراسية الثقيلة والواجبات الاجتماعية المتلاحقة، أن يتفشى التدخين واحتساء الخمر والسهر بين الكثيرين منهم؟

أحرى بالآباء الذين تهمهم سلامة أبنائهم أن يعوضوهم عن الضغط الواقع على أعصابهم بإتاحة الفرص أمامهم للراحة والاسترخاء، وبإرسالهم صيفا إلى معسكرات الشباب على الشواطئ، أو فى الجهات الخلوية لتغيير الجو والمناظر.

كيف تبنى شخصيتك فى المجتمع؟

كيف تحافظ على جاذبية شخصيتك أمام الآخرين:

– يقول «وليم شكسبير» الروائى الإنجليزى المشهور :

«لا تنفخ لعدوك ناراً أو تذك جذوتها فقد تؤذيك أنت من النار لفحتها»

– ويقول «كونفشيوس» حكيم الصين :

«لا يضيرك سب ولا ذم، وإنما يضيرك أن تفكر فيهما !».

والمعروف عن الفيلسوف الألمانى «شوينهور»، مؤلف كتاب « دراسات فى التشاؤم» أنه كان ينظر إلى الحياة على أنها «مغامرة عقيمة أليمة» وكان اليأس يغمره من قمة الرأس إلى إخمص القدم، وبرغم ذلك فقد هتف يوما فى غمرات يأسه : «فى الوسع ألا يجتلب أحد عداء أحد» !

وإحدى الطرق المؤدية إلى العفو عن أعدائنا هى أن ننشغل بقضية أوسع وأكبر من دائرتنا الخاصة، وعندئذ لن نبالى شيئابما يصيب أشخاصنا من إساءة أو عدوان، لأننا نكون مهتمين فى هذا الوقت بقضيتنا العظمية، ولا شىء غيرها.

ومنذ تسعة عشر قرنا أشار إيكتيكوس إلى أننا نحصد ما نزرع، وأن الأقدار تتقاضى منا، بشكل من الأشكال ثمن الشرور التى نزرعها، ثم قال : عاجلا أم آجلا سيدفع الإنسان ثمن ما ارتكبه من الضرر، فمن تذكر ذلك فجدير به ألا ينقم على أحد، أو يسىء إلى أحد، أو ينتقم من أحد، أو يلوم أحدا، أو يكره أحداً.

تحويل السالب إلى موجب :

قال العالم النفسانى « ألفرد أدلر» بعد أن أنفق معظم حياته فى دراسة الناس وخصائصهم النفسية الكامنة : «إن من أروع مميزات الإنسان قدرته على تحويل السالب إلى موجب».

وإليك مثال على ذلك : قصة ترويها الكاتبة البريطانية « ثالما تومسون» قال :

أثناء الحرب العالمية الثانية، صدر الأمر إلى زوجى بالانتقال إلى أحد معسكرات التدريب فى صحراء «موجيف» بولاية نيومكسيسكو، وصحبته إلى مقره الجديد، ولكنى سرعان ما كرهت ذلك المكان وازدريته.

فقد كان زوجى إذا خرج إلى معسكر التدريب فى الصحراء تركنى وحيدة مع الضيق والملل، أضف إلى ذلك الارتفاع الشديد فى حرارة الجو التى لا تحتمل.

ولم يكن هناك من يمكن أن أحادثه أو أتسامر معه، فالمكسيكيون والهنود الحمر لا يتكلمون لغتى ولا أتكلم لغتهم، وكان الطعام الذى أتناوله، والهواء الذى استنشقه محملين بذرات التراب والرمال، وبلغ بى الشقاء والعناء مبلغا كبيرا حتى أننى كتبت لوالدىَّ خطابا قلت لهما فيه :

إننى أعقد العزم على ترك زوجى والعودة إليهما، ورد أبى على خطابى هذا بسطرين فقط - سطرين سأذكرهما ما حييت لأنهما غيرا مجرى حياتى تماما، وهذان هما :

«من خلف قضبان السجن، تطلع إلى الأفق اثنان من المساجين،

فاتجه أحدهما ببصره إلى وحل الطريق، أما الآخر فتطلع إلى نجوم السماء».

وقد قرأت هذين السطرين وأعدت قراءتهما مرات ومرات، فخجلت من نفسي، وعولت أن أتطلع إلى نجوم السماء، وما هى إلا فترج وجيزة حتى عقدت صداقة وطيدة مع كثير من الأهالى فى تلك المنطقة، وبادلونى هم ودا بود، وعادت إلى ثقتى بنفسى، وأصبحت بالفعل أمتلك جاذبية شخصية.

فما أكاد أبدى إعجابى بشىء من منسوجاتهم أو أوانيهم الخزفية حتى يسارعوا إلى إهدائه إلىَّ.

ورحت أدخل على نفسى البهجة بتأمل مغيب الشمس فى جوف الصحراء، كما أخذت أشغل وقت فراغي بالتقاط الأصداف من الرمال التى كانت يوما قاعا للمحيط.

فما الذى أحدث فى نفسى التغيير ؟ إن الصحراء هى الصحراء لم تتغير، والناس هم الناس لم يتغيروا، ولكنى أنا التى تغيرت، أو تغير اتجاهى الذهنى، وبهذا استطعت أن أحول تجربة أليمة إلى مغامرة مثيرة تعمر بسيرتها حياتي، بل لقد كانت تلك المغامرة من الإثارة بحيث دفعتنى إلى تأليف قصة عنها بعنوان : «قضبان لامعة» وكنت أعنى بها تلك القضبان التى تطلعت من ورائها فرأيت نجوم السماء.

على أن «ثلما» لم تكتشف إلا حقيقة قديمة عرفها الإغريق قبل الميلاد بخمسمائة عام.

حين قالوا : «أفضل الأشياء أصعبها منالا»، وقد أعاد البعض صياغة هذه الحقيقة فقالوا : «ليست السعاة فى السرور، وإنما هى فى الظفر» نعم

الظفر الذى نحسه عندما تثمر أعمالنا، حينما نحول السالب إلى موجب .. وتلك أهم قواعد الشخصية الجذابة.

وكلما ازددت تعمقا فى دراسة الأعمال العظيمة التى أنجزها بعض مشاهير الناس، ازددت إيمانا بأن هذه الأعمال كلها كان الدافع إليها نقائص حفزت أصحابها على القيام بها، ثم جنى ثمراتها المباركة.

تلك حقيقة واقعة، فمن المحتمل مثلا أن الشعراء بشار بن برد، وأبا العلاء المعرى، وحسان بن ثابت، وهوميروس (مؤلف الإلياذة والأوديسا) لو لم يكونوا مكفوفى البصر ما كانوا ليكتبوا هذا الشعر الرائع وتلك الأعمال الخالدة.

وكذلك بتهوفن لم يكن ليؤلف مثل هذه الموسيقى العظيمة لو لم يكن أصما، وكذلك تشابكوفسكى لو لم يكن شقيا معذبا فى زواجه لدرجة أنه فكر فى الانتحار، لما لحن سيمفونيته العظيمة.

وغير ذلك من الأمثلة كثير، فمن أين إذن أتتنا الفكرة التى تقول إن الحياة الرغدة المستقرة الهادئة الخالية من الصعاب والعقبات تخلق سعداء الرجال أو عظماءهم ؟

إن الأمر على العكس من ذلك تماما، فالذين اعتادوا الرثاء لأنفسهم سيواصلون الرثاء لأنفسهم، ولو ناموا على الحرير وتقلبوا على ريش النعام، والتاريخ يشهد بأن العظمة والسعادة أسلمتا قيادهما لرجال من مختلف البيئات منها الطيب ومنها الخبيث، ومنها الغنى ومنها الفقير.

وهب أننا أصابنا اليأس فأفقدنا الأمل فى إحالة حياة الكدر إلى حياة عذبة صافية، فهناك سببان يدفعانا إلى المحاولة، فقد نكسب كل شىء، ولكن

من المؤكد أننا لن نخسر شيئا :

١- السبب الأول : أننا قد ننجح فى محاولتنا.

٢- السبب الثانى : أنه على فرض إخفاقنا، فإن المحاولة فى ذاتها - محاولة استبدال السالب بالموجب - ستحفزنا على التطلع إلى الأمام بدلا من الالتفات إلى الوراء، وستحل الأفكار الإنشائية فى أذهاننا محل الأفكار الهدامة، وتولد فينا طاقة من النشاط تدفعنا إلى الانشغال بالعمل، فلا يصبح أمامنا متسع من الوقت للتحسر على الماضى الذى ولى وانتهى.

بقدر قيمتك يكون النقد الموجه إليك:

فاعلم إذن أنك حين يوجه إليك الضرب، أو النقد، أن فى ذلك اعترافاً بقدرك وأهميتك، وأن فيه إقراراً بأنك فعلت شيئا فذا لفت الأنظار إليك.

وكثير من الناس يجدون التشفى فى اتهام شخص يفوقهم ثقافة، أو مركزاً أو نجاحاً.

وإذا انتابك القلق من جراء تهمة ألصقت بك، أو نقد وجه إليك، فاذكر أن النقد الظالم إنما هو اعتراف ضمنى بقدرتك، وأنه بقدر أهميتك وقيمتك يكون النقد الموجه إليك.

كيف يقدرك الآخرون ؟
حاجتك إلى الحب والتقدير

كيف تكسب أصدقاءك ؟

من الدلائل التى تؤكد أنك شخصية جذابة، قدرتك على اكتساب الأصدقاء، ونجاحك اجتماعيا فى المحيط الذى تعيش فيه، ولكى تصل إلى هذه المرحلة، أمامك مجموعة من القواعد عليك تطبيقها بدقة، وهى على النحو التالى :

لا تنتقد :

قال «جون واناميكر» المالى المعروف : «لقد علمتنى تجارب ثلاثين عاماً أن من الحماقة أن تلوم أحداً، ومن ثم شغلت بإصلاح عيوب نفسى عن التحسر على أن الله سبحانه لم يشأ أن يوزع موهبة الذكاء بالعدل والقسطاس بين الناس !».

إن تسعين فى المائة من الناس لا يلومون أنفسهم على شىء بالغا ما بلغ من الخطأ.

فاللوم عقيم لأنه يضع المرء فى موقف الدفاع عن نفسه، ويحفزه إلى تبرير موقفه، والذود عن كبريائه وعزته.

وفى وسعك أن تجد ألف مثل على عقم اللوم مسطرة فى ألف صفحة من صفحات التاريخ.

فى صبيحة يوم السبت ١٥ ابريل عام ١٨٨٥ رقد " أبرهام لنكولن" يعانى سكرة الموت فى مسكن حقير أمام مسرح "فورد"، حيث رماه "بوث"

بالرصاص ... وإذ رقد لنكولن على فراش الموت، قال "ستانتون" وزير الحربية فى ذلك العهد، "هنا يرقد أكمل حاكم عرفته الدنيا منذ بدء الخليقة!".

فماذا كان سر نجاح لنكولن فى معاملته للناس ؟

هل كان مغرما بلوم الناس ؟ نعم عندما كان صبيا ! ولم يكن يلوم حينذاك وحسب، بل كان يكتب الرسائل والقصائد التى يهزأ فيها من الناس، ثم يلتقى بها فى عرض الطريق حيث لابد للنظر من الوقوع عليها ! وقد تسببت إحدى تلك الرسائل فى إثارة نزاع استمر عمراً بأكمله.

هل فى ذهنك الآن شخص تود من صميم قلبك أن تقوم طباعه، وتهذب خلقه، وتهديه إلى الطريق السليم، إذا كان الأمر كذلك، فهذه سمات تشكر عليها، ولكن لم لا تبدأ بنفسك أولا؟ فمن وجهة النظر الغريزية فإن الاهتمام بالنفس أحب بكثير بل وأقوى من الاهتمام بالغير، وأقل خطرا كذلك.

ما قولك فى أن تخصص عاماً كاملاً -مثلاً- لإتمام نقص نفسك وتصحيح عيوبها ؟! ولك بعد هذا أن تخصص الأعوام التالية كلها لتقويم الناس وتهذيب خلقهم.

ولكن أتمم نقص نفسك أولا.

قال " كونفشيوس " : «لا تتبرم بالجليد المتراكم على عتبة جارك قبل أن تزيل ما تراكم على عتبة دارك أولا !».

ينبغى أن تذكر فى معاملتك للناس أنك لا تعامل أهل منطق، بل أهل عواطف، وشعور، وأنفس حافلة بالأهواء، ملأى بالكبرياء والغرور،

واللوم شرارة خطيرة فى وسعها أن تضرم النار فى وقود الكبرياء ... وأن تضرمها ناراً قد تعجل بالموت أحياناً.

وكان "بنجامين برانكلين" فى شبابه، تنقصه اللباقة والكياسة فى معاملة الناس ثم اشتهر بعد ذلك بلباقته التى رشحته لمنصب سفير أمريكا فى فرنسا ... فما سر تحوله ؟ لقد صهرته التجارب حتى أدرك عقم اللوم، فقال قولته المأثورة «سوف لا أتكلم بسوء عن أحد، بل سأتكلم عن الخير الذى يعرفه كل إنسان».

إن أى أحمق يسعه أن يلوم، وأن يتهم، وأن ينتقد، بل هذا ما يفعله أغلب الحمقى ! فدعنا بدلا من أن نلوم الناس نحاول أن نفهمهم ونتنحل لهم الأعذار فهذا أمتع من اللوم، وهو يعقب الشفقة، والرحمة، والاحتمال. ولنذكر قول الدكتور "جونسون" : «إن الله يا سيدى لا يحاسب إنسانا إلا بعد أن ينتهى أجله» فلماذا نعجل أنا وأنت بمحاسبة الناس ؟!

لا تجادل :

لا يمكنك أن تفوز قط فى جدل، فإنك سواء انتصرت أو هزمت فأنت خاسر على أى حال. لماذا ؟ هب أنك فندت أقوال الشخص الذى تجادله، وحطمت وجهات نظره، وسفهت أقواله، فما الذى يحدث؟ قد تحس بالرضى والارتياح، ولكن بماذا يحس هو ؟ إنه لن يسلم بانتصارك أبداً ما دمت قد جرحت كبرياءه وخدشت اعتباره. وثمة حكمة مأثورة تقول : «الرجل الذى أرغم على أن يعتقد ما ليس يعتقد لم يزل على اعتقاده الأول !» وقد رسمت إحدى شركات التأمين على الحياة سياسة حميدة لمندوبيها، ليس لأحدهم أن يحيد عنها، تلك هى : "لا تجادل".

يقول بنجامين فرانكلين : إذا جادلت، وتحديت، وناقضت فربما استطعت أن تنتصر أحياناً، ولكنه نصر أجوف، لأنك ستخسر، على أى حال، حسن علاقتك بمحدثك، فماذا تفضل : انتصارا أجوف، أم علاقة طيبة بالرجل؟ فأنت قلما تفوز بالاثنين معاً.

قال بوذا : "لا تنتهى الكراهية، وإنما تنتهى بالحب وكذلك الجدال لا ينتهى أبدا بالكياسة، والتلطف، والرغبة الصادقة فى أن تقف على وجهة نظر الشخص الآخر».

وقد لام لنكولن ذات مرة، أحد الضباط الشبان على نزوعه إلى الجدال العنيف مع زملائه، قائلا : "لا يجد الرجل الذى يتطلع إلى تحقيق مثله العليا زمنا ينفقه فى الجدال على غير طائل إنه إذن لا يقوى على احتمال الشدائد بدليل فقده السيطرة على نفسه ! سلم بالأشياء المهمة التى تكون حججك فيها مساوية لحجج محدثك، وسلم بالأشياء التافهة ولو كانت لمحدثك كل الحجج، فإن نخلى الطريق للكلب العقور خشية أن يعضنا خير من أن نقتله بعد إذا يعقرنا، فإن قتله فى هذه الحال، لن يفيد فى علاج عضته شيئا.

فلكى تجتذب الناس وتكسبهم إلى وجهة نظرك : لا تجادل ... واعلم أن أفضل السبل لكسب جدال هو أن تجتنبه.

لكى تصبح محدثا بارعا :

من هنا لا يرغب فى أن يكون محدثا بارعا، يمتلك القدرة على أن يجذب انتباه الآخرين أثناء حديثه، لعل هذا ليس أمراً مستحيلاً، ولكنه فقط يحتاج منك إلى بعض القواعد التى يجب أن تعرفها جيدا وتنفذها بدقة.

واستمع معنا إلى هذه القصة، روى "ديل كارنيجى" هذه القصة فقال:

جمعتنى بأحد علماء النبات المبرزين حفلة عشاء ولم أكن قد تحدثت إلى أحد علماء النبات من قبل، لذلك وجدت فى الاستماع إليه لذة كبري. جلست على حافة مقعدي، وأصغيت إليه وهو يحدثنى عن الحشائش، والأزهار، والحدائق المنزلية، ومضيت أتحدث إلى هذا العالم ساعات بأكملها!.

وانتصف الليل فتمنيت للمدعوين ليلة سعيدة وانصرفت وعاد عالم النبات إلى مضيفنا وأجزل له الثناء على ... فقد كنت - على حد تعبيره مثيرا جداً" وكنت هذا وكنت ذاك ثم اختتم حديثه للمضيف بقوله :"حقا إن مستر كارنيجى محدث بارع !" محدث بارع ؟ أنا ! وكيف ؟! فإنى لم أكن لأقول شيئا قبل أن أغير موضع الحديث، فلست أعلم عن النبات أكثر مما أعلم عن تشريح طائر " البنجوين" كل ما فعلته أننى استمعت بشغف، وقد فعلت ذلك لأننى كنت شغوفا حقا بما يقول، وقد أحس هو بذلك، وسره هذا بطبيعة الحال، فالاستماع المشغوف هو أعلى ضروب الثناء الذى يمكن أن تضيفه على محدثك».

يقول جاك وود فورد فى كتاب " غرباء يجمعهم الحب" : قال من البشر من يجمد أمام الثناء الذى يتضمنه الإنصات باهتمام".

وقد ذهبت أنا إلى أبعد من ذلك مع عالم النبات، كنت "مسرفا فى تقديرى مبذراً فى ثنائى"، قلت له إننى تسليت وأفدت كثيراً، وقد فعلت ! وقلت إننى أود لو تكون لى معلوماتى الغزيرة وإنى والله لأود ! وقلت : إننى أتمنى لو أطوف معه بالحقول ليسمى لى النباتات والأزهار بأسمائها، وإنى

أتمنى فعلاً ! وقلت له إنه ينبغى لى أن أراه مرة أخرى وشيكا، وإنه حقا لينبغى !! ... ولهذا وصفنى الرجل بالمحدث البارع، وأنا الذى لم أزد على أن كنت مستمعاً طيباً شجعه على الحديث !

هل تعلم ماهو سر الصفقات الناجحة التى تتم فى مقابلة بين اثنين من رجال الأعمال ؟ يقول " تشارلس إليوت" : « ليس فى ذلك سر، سوى أن تصغى باهتمام لمحدثك ، فلا شىء آخر يسره أكثر من ذلك ».

ولا ينبغى لك أن تدرس أربع سنوات فى الجامعة لكى تدرك هذا، ومع ذلك فأنت تعرف ولا شك تجاراً يستأجرون أفخم المتاجر، ويبعيون بضائعهم بسعر معتدل، ويزودون واجهات محالهم بأكثر اللافتات اجتذاباً للأنظار، وينفقون الأموال الطائلة على الدعاية والإعلان، ثم يستخدمون، بعد ذلك باعة لا يحسنون الإصغاء باهتمام ... باعة يجادلون زبائنهم، ويقاطعونهم، يناقضونهم الرأى، وقد يغلظون لهم القول، ويوشكون أن يقذفوا بهم خارج المتجر.

إن أشد الناس جفافا فى الطبع، وغلظة فى القول لا يملك إلا أن يلين إزاء مستمع صبور عطوف ... مستمع يلوذ بالصمت إذا أخذ محادثه الغاضب، يصول ويجول كالحية الرقطاء وهو ينفث سمه هنا وهناك !

مثال ذلك أن "شركة تليفونات نيويورك " صادفت منذ بضعة أعوام مضت عميلا من شر العملاء وأسوأهم خلقاً، وقد سب الرجل مندوب الشركة وأشبعه لعنا، ورفض أن يدفع الأقساط "الملفقة" المدسوسة عليه "كما وصفها وكتب المقالات إلى الجرائد، وأرسل الشكاوى إلى المسئولين، وبدأ حملة عاصفة ضد شركة التليفونات !

وأخيرا عهد إلى موظف بارع من "كاسح المتاعب" فى الشركة المذكورة بمقابلة هذا العميل المشاكس ... واستمع "كاسح المتاعب" وأرخى العنان للرجل الغاضب الثائر ريثما أفرغ ما فى جعبته ويتحدث " كاسح المتاعب" بما جرى بعد ذلك، فيقول :

"ظل الرجل يعصف، وظللت أستمع ساكنا زهاء ثلاث ساعات تقريبا وعدت إليه فى اليوم التالى واستمعت مرة أخرى وقابلته أربع مرات، وفى المرة الرابعة كنت قد عينت عضوا فى هيئة شرع فى تأليفها وسماها "هيئة حماية مشتركى التليفون" ومازلت - على قدر ما أعلم - العضو الوحيد فى هذه الهيئة بجانب رئيسها!.

كان كل ما فعلته أننى استمعت إلى الرجل باهتمام أقررته على كل كلمة قالها، ولم يكن الرجل قد اعتاد أن يحدثه موظف بشركة التليفونات على هذا النحو.

أما الموضوع الذى أتيت بشأنه، فلم أشر إليه قط فى الزيارات الثلاث الأولى - وفى الزيارة الرابعة أسدلت الستار على المشكلة تماما، فقد سدد الرجل - من تلقاء نفسه - حسابه كله، ولأول مرة فى تاريخ نزاعه مع الشركة سحب كل شكواه ضدها.

لا شك أن هذا العميل كان يعتبر نفسه مجاهداً مظلوماً يدافع عن الحقوق العامة ضد استغلال معيب ! ولكنه فى الحقيقة كان فى حاجة إلى "الإحساس بالأهمية"، وكان يجنى هذا الإحساس أول الأمر من التبرم والشكوي، ولكنه بمجرد أن حصل على هذا الإحساس من أحد مندوبى الشركة، سرعان ما اندثرت مظالمه المتوهمة !

وليس العظماء وحدهم هم الذين يحتاجون إلى مستمع طيب، بل هذا ما يريده كل منا عندما تحيط به المتاعب وتواجهه المشكلات، هذا هو ما يريده " الزبون" الغاضب ، والموظف السأمان، والصديق المهان !

فإذا كانت تريد أن ينفض الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك، فهاك الوصفة : "لا تعط فرصة الحديث .. تكلم بغير انقطاع عن نفسك، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه : إنه ليس ذكيا مثلك ولا أريبا، فلماذا تضيع وقتك فى الاستماع إلى حديثه السخيف؟! ... اقتحم عليه الحديث ... واعترضه فى منتصف كلامه!!

هل تعلم أناسا يعملون بهذه الوصفة ؟! ... أنا أعرف، لسوء الحظ ! والمدهش فى الأمر أن لبعضهم أسماء لامعة فى المجتمع !

يقول الدكتور "نيكولاس بتلر" مدير جامعة كولومبيا السابق : " الرجل الذى يتكلم عن نفسه فقط لا يفكر إلا فى نفسه فقط، والذى يفكر فى نفسه فقط رجل جاهل تدعو حاله إلى الرثاء، إنه أمى النفس بغض النظر عن مدى تعليمه..".

فلكى تصبح محدثا بارعا كن، أولا، مستمعا طيباً.

اسأل محدثك أسئلة تظن أنه سيسر بالإجابة عنها، شجعه على الكلام عن نفسه، وأعماله، وعن الميدان الذى تخصص فيه، وتذكر أن محدثك يهتم بنفسه وبرغباته ومشكلاته أكثر، بمائة ضعف، من اهتمامه بك، وبمشكلاتك ؟ إن ضرسا يؤلمه لهو أهم عنده من مجاعة تحيق بأهل الصين، أو كارثة تنزل بأهل أوربا ... فاجعل ذلك نصب عينيك فى المرة التالية التى قد تبدأ فيها مناقشة.

اقصر الطرق إلى قلب الرجل :

إذا كنت مهتاج الخاطر، محنقا مغيظا، وصببت جام حنقك وغيظك على الشخص الآخر، فلا شك أنك ستزيح عن كاهلك عبئا كان يرهقك، ولكن ما بال الشخص الآخر ؟! أيشاركك راحتك ؟! أتجعله لهجتك الحادة، أقرب إلى موافقتك، ومشاطرتك الرأى ؟!.

قال "ودرو ولسن" ذات يوم : "إذا أتيت إلى وقد ضممت قبضتك، فإنى أعدك أن أضم قبضتى بأسرع مما فعلت أما إذا أتيت إلى وقلت : دعنا نتبادل الرأي، فحتى إذا اختلفنا، فلن نلبث أن نجد أننا لم نبعد كثيراً أحدنا عن الآخر!

وإذا كان قلب الرجل مفعما بالحنق عليك، والبغضاء لك فلن يسعك أن تكسبه إلى وجهة نظرك بكل ما فى الوجود من منطق.

فليدرك هذا الآباء الآثمون، والأزواج المنتقدون، والمديرون الطاغون ولكن الأقرب إلى الاحتمال أن يصل هؤلاء إلى أغراضهم إذا توسلوا باللطف والرفق، واللين.

قال لنكولن منذ مائة مائة عام مضت : "ثمة مثل قديم يقول : إن نقطة من العسل تصيد من الذباب أكثرمما يصيد برميل من العلقم! وكذلك الحال مع البشر : إذا أردت أن تكسب رجلا إلى جانبك فاقنعه أولا أنك صديقه المخلص فهذه النقطة من العسل، تصيد قلبه، وتلك وحدها هى الطريق المؤدية إلى قلب الرجل.

كان "دانيال ويستر" من أنجح المحامين الذين عرفهم العالم ذلك لأنه كان يسوق حججه القوية وبراهينه الدامغة مسبوقة بمثل هذه العبارات

الودية : "هل لكم يا حضرات المحلفين أن تقدروا ... " و " قد يكون هذا يا حضرات السادة شيئا جديرا بالتفكير ... " و" إليكم بعض الحقائق التى أعتقد أنها لا تخفى عليكم ..."، و" أنتم بما لكم من معرفة حقة بالطبيعة البشرية...".

فلا تحد، ولا إكراه، ولا محاولة لفرض رأى !

وأنت قد لا يعهد إليك بفض إضراب، أو بمخاطبة المحلفين ولكن قد تريد تخفيض إيجار منزلك -مثلا- فهل يجديك التمهيد الودى ، والكلام اللين اللطيف؟ دعنا نرى :

أراد مستر "وب" أن يخفض إيجار منزله، برغم ما كان يعهده فى المالك من عناد، واستبداد بالرأي، وقد نجح فى ذلك، فكيف ؟

وكتبت للمالك أخطره بأننى سأخلى مسكنى بمجرد أن ينتهى عقد الإيجار والحقيقة أننى لم أكن أريد أن أخليه، وإنما قصدت إلى أن أمهد لطلب خفض الإيجار، ولكن الموقف بدا ميئوسا منه لا رجاء فيه، إذ قد جرب ساكنا غيري.

وثمة أسطورة عن الشمس والرياح تقول :

اختلفت الشمس والرياح، هذه تقول إنها أقوى وأفعل وأشد بأسا، وتلك تزعم هذه الصفات لنفسها دون الأخري، أخيرا قالت الرياح للشمس - أترين هذا العجوز المتدثر بمعطفه؟ أتحداك أن تجعليه يخلع معطفه بأسرع مما أستطيع !.

فقبلت الشمس التحدى وأهابت الرياح أن تثبت قولها وأسرعت الشمس فاختبأت وراء غمامة ثقيلة، بينما زمجرت الرياح وراحت تصول

وتجول، ولكنها كلما ازدادت عصفا أحكم الرجل معطفه حول جسده، وشد أطرافه إليه ... فلما يئست الرياح سلمت بإخفاقها، وألقت سلاحها وهنالك بزغت الشمس من وراء الغمامة، وابتسمت فى دعة ورفق للعجوز، فما لبث أن تخلص من معطفه.

وعندئذ قالت الشمس للرياح :

إن للرفق واللين قوة تفوق ما للغضب والعنف ؟

فإذا أردت أن تكسب الناس إلى وجهة نظرك فتوسل بالرفق واللين ودع الغضب والعنف.

قدر أفكار الشخص الآخر :

أتريد أن تتعلم عبارة سحرية تصفى جو الحديث فى الحال مما قد يعتكره، وتشيع فيه روحاً طيباً، وتحدو بالشخص الآخر إلى الإنصات إليك باهتمام ؟

ها هى ذى : قل لمحدثك : "إننى لا ألومك مثقال ذرة لوقوفك هذا الموقف، وإحساسك هذا الإحساس، ولو كنت مكانك لأحسست تماما مثلما تحس، واتخذت مثل الموقف الذى تتخذ !.

عبارة كهذه كفيلة بأن تكسر حدة أطول الناس باعا فى السفاهة والجدل وفى وسعك أن تقول هذه بعبارة وتكون مخلصا صادقا مائة فى المائة لأنك لو كنت مكانه لصنعت فعلا مثلما صنع، ودعنى أضرب لك الأمثال :

ولعل السبب الوحيد فى أنك لم تخلق حية رقطاء هو أن أبويك ليسا من الحيات الرقطاوات ...! ولعل السبب الوحيد الذى لأجله لا تعبد البقرة

ولا تقدس الحيات هو أنك لم تولد لأبوين هندوكيين يعيشان على ضفاف نهر "براهما بوترا".

فأنت ليس لك فضل فى الحال التى أنت عليها إلا قليلاً فاذكر ذلك جيدا واذكر أن الرجل الذى يأتيك محنقا مغضباً، صاخبا ثائراً لا يستحق منك اللوم بقدر ما يستحق الأسف والرثاء لأنه بدوره ليس له فضل فى الحال التى هو عليها فاعذره واشمله بعطفك وابد نحوه حسن بالإدراك وكرم الخلق.

يقول الدكتور "أرثر جيتس" فى كتابه علم النفس التربوى "إن الجنس البشرى بأجمعه يتلهف على العطف فالطفل يسارع بإظهار ما لحقه من أذى بل إنه قد يحدث الأذى بنفسه لكى يحصل على العطف والبالغون، بدورهم يبدون ما أصابهم من أذى ويتداولون أخبار مرضهم، والإشفاق ! وإبداء العطف على النفس فى مواجهة المصائب والشدائد، سواء كانت حقيقة أو متوهمة، أمر شائع لا يكاد يخلو منه إنسان".

فإذا أردت أن تكسب الأصد قاء فقدر أفكار الشخص الآخر ابد عطفك على رغباته.

المناسب وجاذبية شخصيتك

العمل المناسب وجاذبية شخصيتك :

إنك تقضى فى عملك ثلثى عمرك.. وما لم يعد عليك عملك بالرضا، وما لم تحس فيه بالاستقرار وما لم تشعر أنك تعبر فيه عن ذاتك. فإنك ستفتقد ركنا مهما من أركان شخصيتك وجاذبيتها.

القرار الحاسم :

إذا كنت دون الثامنة عشرة من عمرك فإنك تقترب كثيرا من اللحظة التى يتعين عليك أن تتخذ فيها قرارا حاسما من أخطر القرارات فى حياتك، وهو قرار يتوقف عليه مجرى حياتك من بعد، وتتوقف عليه سعادتك ونجاحك، وتتوقف عليه ملامح شخصيتك ووضعها الاجتماعى، ذلك هو ماذا ستعمل ؟ وكيف ستكتسب عيشك ؟

حاول ما أمكنك أن تجد عملا يطيب لك، سُئل ذات مرة أحد رؤساء مجلس الإدارة الناجحين فى شركة مشهورة: ما أهم عوامل النجاح فى العمل ؟ فأجاب: أن يجد الإنسان لذة فى عمله، فإذا استمتع بعمله فإنه يقضى الساعات المقررة للعمل دون أن يحس بمرورها، ويكون إحساسه وهو يؤدى عمله كإحساس من يلهو.

وقد كان أديسون نموذجا رائعا ينطبق عليه هذا القول، قال يوما : إننى لم أعمل يوما واحدا فى حياتى بل كنت ألهو.

وبالتالى فإن النصيحة التى يجب أن يتمثلها كل شاب هى : لا تقبل عملا ترى أنك مرغم عليه، ولو كان هذا على حساب رغبة والديك وأسرتك، لا تقبل عملا مالم تشعر فى قرارة نفسك أنك ميال إليه، ولا بأس مع هذا

أن تقدر مشورة والديك لأنهما يمتلكان خبرة تفوق خبرتك بأضعاف مضاعفة، ولكن اعلم أن القرار الحاسم هو فى آخر الأمر لك، فأنت الشخص الذى سيقوم بالعمل، وأنت الشخص الذى سوف يهبه العمل السعادة، أو يرديه فى هوة الشقاء.

استكشف مواهبك :

لو أنك كنت تبيع سلعة معينة صادفت رواجا، ثم وجدت فجأة أن سلعتك أصيبت بالكساد، فإن أول ما تفعله هو أن تحلل أسباب الكساد، ومعرفة لماذا ؟،

قد تحاول الوقوف مثلا على السلع المنافسة ومعرفة مميزاتها التى جعلتها تتفوق على سلعتك ... وقد تحاول، وقد تحاول ... وقد تصل فى النهاية إلى ضرورة تحسين سلعتك وتجويدها ...

ومثل ذلك تماما ما يجب أن تفعله، وما يجب أن تطبقه على أعمالك إذا أصيبت بالبوار والكساد، لا تمتثل لليأس ولا تستسلم للحزن، بل انهض إلى العمل، حلل الخدمات التى تمتلك القدرة على تأديتها، والتى تمثل الإمكانيات التى فى طاقتك،

ولا تحسب أنك داومت على عمل معين فترة طويلة من عمرك فلهذا أنت لا تحسن سوى هذا العمل، فإن كساد خدماتك أعمالك، وحاجتك الشديدة إلى العمل قد تدفعانك إلى تغيير نوع العمل الذى تعمل به، والذى دأبت على مزاولته إذا احتاج الأمر.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فكم من إنسان أحس بأنه لا يجد نفسه فى العمل الذى يؤديه، فعمد إلى تغييره ونجح فى ذلك.

استبدل عملا بآخر :

إذا لم تكن تسير فى عملك قدما نحو الترقي، فهنالك ينبغى أن تلقى نظرة على نفسك، وقبل أن ترسم وجهة جديدة لمستقبلك. تدبر كل المؤهلات التى تستطيع تحملها، فلعلك تستكشف أنك موضوع فى مكان غير الذى تصلح له، أو لعلك تتبين أنه ينبغى أن تغير الميدان الذى اخترته للعمل أصلا، أو لعلك من ناحية أخرى ترى أنك تجاهد للانتقال إلى عمل آخر فى حين أن عملك الراهن هو أصلح الأعمال لك.

عالج الفشل:

الفشل ولا شك من أعدى أعداء السعادة، فهو نقيض حاجة إنسانية طبيعية إلى النجاح، والتقدم، والتفوق معناه أن شيئا ما انحرف بالمرء عن الطريق الذى يفضى به إلى النجاح الذى تؤهله له استعداداته وإمكانياته البدنية والذهنية ... وخير ما تفعله لتجنب الفشل واجتلاب النجاح أن تعرف ما الذى ساقك إلى الفشل لتكون منه على حذر.

لماذا نفشل ؟

لماذا نفشل ؟ ومادامت لدينا القدرة على النجاح فلماذا نقصر فى غالب الأحيان عن بلوغ غاياتنا التى رسمنا لها الخطة وأعددنا لها العدة؟ لماذا لا ننجز إلا القليل ونعطل أنفسنا عن الوصول إلى أهدافنا؟ لماذا نعتبر أنفسنا فلاسفة حين ننتحل لأنفسنا أعذارا عن فشلنا فى موضوع ما ؟ أو خطأنا فى اتخاذ الطريق الصحيح من البداية ؟

لا أحد يجد العزاء حقا فيما يتقول به من أن عصفورا فى اليد خير من عشرة على الشجرة. فأمثال هذه الحكم لم تضرب لتقود خطانا فى

طريق الحياة، ونحن لا نخدع بهذا التفلسف أحدا، وإن قبل الناس أعذارنا ما داموا هم أيضا على غرارنا!

ويستمع الرجل الناجح إلى هذه الأقاويل فيبتسم ساخرا، وقد ازداد يقينا أن النفاق ما برح بخير ! فهو وحده يملك الدليل على أن الحياة الموجهة أجزى وأشهى ثمارا من كل ما عساه يتأتى مع الفشل من ثمار هزيلة، وإن عملا أنجز وخرج إلى حيز الوجود لهو أفضل وأبقى من جبال شامخة من الأحلام والخواطر، ولذلك تقول الحكمة : سر النجاح لا يعرفه إلا الذين فشلوا.

فلماذا نفشل إذًا ؟ بل لماذا نجتهد فى الفشل ؟

لأننا إلى جانب خضوعنا لإرادات نفسية متعددة، كإرادة الحياة وإرادة القوة، نخضع أيضا لإرادة الفشل. أو إرادة الموت.

وإرادة الفشل تلك تتخذ أشكالا عدة تختلف باختلاف النماذج النفسية والأنماط البشرية، وهى تدخلنا بدون تحذير ما دمنا لا نرى الفشل إلا طيفا، ولا نراه قط حقيقة مجسمة ينبغى أن نواجهها ونغالبها.

وخلاصة الأمر فى ذلك أننا ينبغى أن نعترف بوجود الفشل فى حياتنا، ونعترف فى كثير من الأحيان أننا فشلنا، على الأقل أمام أنفسنا، وأن نواجه هذا الفشل كما نواجه عدوا يريد اقتحامنا.

تصحيح الاتجاه :

برغم إرادة الفشل، وبرغم ثمار الفشل فإن النجاح هو الهدف الطبيعى للمرء فى الحياة وطاقة النشاط إنما جعلت، لا لتنفق فى الخمول والجمود ولا فى الجهد العقيم، ولا فى العمل الذى لا طائل وراءه، وإنما

لتخدم فكرة رفيعة لا نحققها إلا حين يكتمل لنا النضج.

أما ما هى هذه الفكرة؟ فإنها تختلف من فرد إلى آخر، وهى تنمو وتتطور مع نمو الفرد وتطوره، وليس فى وسع شخص غريب عنا أن يملى علينا مواصفات نجاحنا، أو يدلى لنا بتعريف له، فقد يكون نجاح الشخص متمثلا فى شهرته وذيوع صيته، وقد يكون نجاحه فى بناء أسرته وتربية أبناءه، وقد يكون فى المال والثروة والجاه، وقد يعتبر العالم نفسه ناجحا إذا توصل إلى معلومة جديدة، أو نجح فى تطوير بحث، أو جرب فرضاعلميا وأحدثه حقيقة واقعة.

وإنه ليجدر بك أن تذكر أنك ما لم تبلغ فى تقدير صفاتك وإمكانياتك فسوف تجد فكرتك عن النجاح فى تلك الأشياء التى تستطيع أداءها.

إنما أنا على العكس أريدك أن تستعيد فى ذهنك الصورة الأولى التى رسمتها لهدفك والحلم الميسور التحقيق الذى تصورته فى خيالك زمناً، أريدك أن تستعيده واضحاً بيناً، نابضاً بالحياة، فهنالك يصبح تحقيقه أقرب وأدنى.

كيف ؟ المسألة غاية فى البساطة ...

بأن نتصرف " كما لو كان من المستحيل أن نفشل !".

نعم، ذلك هو الطلسم السحرى الذى يحول فشلنا إلى نجاح!

فى ميسورك، مستعينا بقدر معقول من الخيال أن تمحو من نفسك كل ما يعتمل فيها من غضب من ضعف الثقة والجبن والخوف وسوف تجد متى استطعت أن تجسم فى خيالك الحالة الذهنية الكفيلة بدفعك فى اتجاه النجاح الذى أعددت العدة له وأملت فيه، سوف تجد طاقة هائلة من النشاط

والحيوية تنطلق من عقالها لتخسر فى خدمتك ! كما لو كان عقلك قد أطلق زفرة طويلة وهو يتنسم.

والانتقال من عمل ناجح إلى آخر بحيث لا تضيع فيما بينهما وقتاً ولا تبدد نشاطا، واعتياد السهولة التى تؤدى بها العمل، وتعلم تقدير ما أنجزت بقدره وقيمته الحقة، كل ذلك يتطلب من المرء أن يأخذ نفسه بالتعلم والتدرب ولكنه سيجد نفسه فى الطريق بعد أيام قلائل من التحرر حين يرى أنه يعمل مايريد.

أربع خطوات لتحقيق الأحلام :

هناك أربع خطوات أساسية لابد منها لكى تحقق حلمك أيا كان :

١- اعرف ماذا تريد - فإذا لم تكن تعرف ما تريد فإنك لاتستطيع طبعا أن تبلغه.

٢- اكتبه على الورق - فإذا عرفت ما تريد فدونه على الورق إذ ينبغى أن ترى بعينيك ما رأيت بعينى خيالك، فبهذا تطبع أحلامك فى ذهنك وترسخها فيه، فتجعل الخطوة السابقة لها.

٣- اعرف أين تبدأ - ثم رتب أحلامك ترتيبا منطقيا، بحيث يترتب تحقيق خطوة على تحقيق الخطوة السابقة لها.

٤- اشرع فى التنفيذ - واشرع بعد ذلك فى تنفيذ الحلم الذى يظل ماثلا فى الذهن، أو على الورق دون أن تتخذ الخطوات العملية لتنفيذه، يبقى جامدا لا حياة فيه .... وقد تتعثر وأنت ماض فى طريق التنفيذ فلا تيأس، بل امض فى الطريق قدما مهما تكن الظروف.

إذا استطعت أن تفعل ذلك فأنت شخصية ناجحة ولا شك وإذا استطعت أن تفعل ذلك فأنت شخصية جذابة تستحق تقدير الآخرين ولا شك.

وأخيرا فلتذكر دائما حديث المنفلوطي عن العظمة حين يقول :

إن رأيت شاعرا من الشعراء أو عالما من العلماد، أو نبيلا في قومه، أو داعيا في أمته قد انقسم الناس في النظر إليه، وفي تقدير منزلته انقساما عظيما، وانفرجت مسافة الخلف بينهم في شأنه، فافتتن بحبه قوم حتى رفعوه إلى مرتبة الملك، ودان ببغضه آخرون حتى هبطوا به إلى منزلة الشيطان ... فاعلم أنه رجل عظيم.

العظمة أمر وراء العلم والشعر، والإمارة والوزارة، والثروة والجاه، فالعلماء والشعراء والنبلاء كثيرون، والعظماء منهم كثيرون.

وإنما هي قوة روحية موهوبة غير مكتسبة، تملأ نفس صاحبها شعورا بأنه رجل غريب في نفسه، ومزاج عقله ونزعات أفكاره، وأساليب تفكيره، غير مطبوع على غرار الرجال، ولا مقدور على مثالهم، ولا داخل في كلية من كلياتهم العامة.

فإذا نزلت نفسه من نفسه هذه المنزلة، أصبح لا ينظر إلى شيء من الأشياء بعين غير عينه، ولا يسمع بأذن غير أذنه، ولا يمشي في طريق غير الطريق التي مهدها بيده لنفسه، ولا يجعل لعقل من العقول مهما عظم شأنه وشأن صاحبه سلطانا عليه في رأي أو فكر، أو مشايعة لمذهب أو مناصبة لطريق !

بل يري، لشدة ثقته بنفسه، وعلمه بضعف ثقة الناس بنفوسهم أن حقا

على الناس جميعا أن يستفيدوا له، وينزلوا على حكمه ويترسموا مواقع أقدامه فى مذاهبه ومراميه، فترى جميع أعماله وآثاره غريبة نادرة بين آثار الناس وأعمالهم، تبهر العيون، وتدهش الأنظار، وتملأ القلوب هيبة وروعة.

فإن كان شاعرا كان مبتكرا فى معانيه وطريقته.

أو كاتبا أخذ على النفوس مشاعرها وأهواءها .

أو فقيها هدم من المذاهب قديما وبنى جديدا .

أو ملكا شغل من صفحات التاريخ ما لم يشغله ملك سواه.

أو وزيرا ساس أمته سياسة جديدة لا عهد لهم بمثلها من قبل.

أو قائدا ضرب الضربة البكر التى ترن فى مسمع الجوزاء.

تلك هى العظمة ... وهذا هو الرجل.

من كان هذا شأنه، كان فتنة الناس فى خلواتهم ومجتمعاتهم، ومعترك أنظارهم وأفهامهم، ومثار الخلف والشقاق بينهم فى استكناه أمره، وتقدير منزلته فيعجب به الذين فطروا على الإعجاب به .. إلى الافتتان بأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، والإغراق فى حبه والمشايعة له، والسير فى غرائبه وعجائبه فى كل جهة ومكان، فيقع ذلك فى نفوس حاسديه، والحاقدين عليه موقعا غير جميل، فلا يجدون لهم بدا من مقابلة الإغراق فى حبه بالإغراق فى بغضه، على قاعدة المشادة والمعاندة.

وهناك تحتدم المعركة الهائلة بين أنصاره وخصومه، فيهاجمه هؤلاء يحاولون استلاب عظمته منه، ويناضل عنه أولئك يريدون استبقاءها فى يده، وهو واقف بينهم يدير أنظاره فيهم هانئا مغتبطا، لا يحزن ولا يبتئس، لأنه

يعلم أن جميع هذه الأصوات الصارخة حوله إنما هى أبواق شهرته وعظمته.

لا أريد أن أقول إن الرجل العظيم مصيب فى كل ما يرى وما يفعل، وما ينتهج لنفسه وللناس من المناهج والخطط، فربما كان من هو أضعف منه قوة، وأضحل ذكراً، أسد منه رأيًا ... وأصدق نظرا.

وإنما أريد أن أقول إن أحداً من الناس لا يستطيع أن يشغل أقلام الكتاب، وعقول المفكرين، وألسنة الناطقين، وقلوب المحبين والمبغضين إلا الرجل العظيم.

أحب علياً قوم حتى كفروا بحبه .. وأبغضه آخرون حتى كفروا ببغضه.

وسمى بعض الناس «أبا بكر وعمر» شيخى المسلمين، وأنكر بعضهم صحبتهما وإخلاصهما.

وعاش «محى الدين بن عربى» بين فئة تراه قطب الأولياء، وأخرى تراه شيخ الملحدين.

واغتبط فريق من المسلمين، «بابن رشد» فسموه فيلسوف الإسلام، ونقم عليه فريق فملأوا وجهه بصقا فى المسجد الجامع.

وسمى قوم صاحب كتاب «الإحياء» حجة الإسلام ، ومزق آخرون كتابه ونثروه فى مهاب الريح.

عاش «المعرى» بين رضا الراضين عنه ... ونقمة الناقمين عليه، يلثم الأولون مواطئ نعله، ويسحبه الآخرون على وجهه فى الطرقات العامة.

وشرب «سقراط» كأس السم بين أفواه باسمة شامته به، وعيون دامعة حزنا عليه.

وجرت الأقلام بمدح المتنبى تارة فإذا هو سيد الشعراء، وبذمه أخرى فإذا هو أكبر المتكلفين.

ورفع قوم «شكسبير» إلى مرتبة الكمال الإنسانى فقالوا نابغة الدهر، وهبط به آخرون إلى أدنى منازل الخسة والدناءة فقالوا المنتحل الكذاب.

وافتتن بنابليون الأول فعلُوا به إلى رتبة الأنبياء وتنكر له خصومه وأعداؤه فسلكوه فى سلك الحمقى والمغرورين.

وذاق كل من «لوثر، وكالفين، وغاليلو، وفولتير، ونيتشه، وتولستوى» كأسى الحب والبغض فى حياته وبعد مماته إلى القطرة الأخيرة منهما.

وما انقسم الناس فى هذا البلد فى هذا العصر فى شأن رجل من الرجال انقسامهم فى شأن «جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وسعد زغلول، ومصطفى كامل، وعلى يوسف، وقاسم أمين» وما كان واحد من هؤلاء فى المنزلة التى يرفعه إليها المغرقون فى حبه، أو ينزل بها الغالون فى بغضه .. ولكنهم كانوا قوما عظماء، فانقسم الناس فى شأنهم، وذهبوا فى أمرهم المذاهب البعيدة المترامية، ولا ينقسم الناس هذا الانقسام العظيم، إلا فى شأن الرجل العظيم.

ليس معنى الوجود فى الحياة أن يتخذ المرء لنفسه فيها نفقا يتصل أوله بباب مهده، وآخره بباب لحده، ثم ينزلق فيه انزلاقا من حيث لا تراه عين ولا تسمع دبيبه أذن حتى يبلغ نهايته .. كما تفعل الهوام والحشرات والزاحفات على بطونها .

وإنما الوجود قرع الأسماع، واجتذاب الأنظار، وتحريك أوتار القلوب، واستثار الألسنة الصامتة، وتحريك الأقلام الراقدة، وتأجيج نار الحب فى نفوس الأخيار.. وجمرة البغض فى قلوب الأشرار.

فعظماء الرجال أطول الناس أعماراً وإن قصرت حياتهم، وأعظمهم حظا فى الوجود وإن قلت على ظهر الأرض أيامهم.

العظمة الحقيقية يخدمها أعداؤها وأصدقاؤها، ويحمل أحجار هيكلها على رؤوسهم هادموها وبناتها .. فحيث ترى سواد الأعداد .. فهناك سواد الأصدقاء، وحيث ترى الفريقين مجتمعين فى صعيد واحد، فاعلم أن العظمة ماثلة على عرشها العظيم فوق أعناقهم جميعاً.

العظمة قصر مشيد مرفوع على ساريتين منحوتتين من حب الناس وبغضائهم، فلا يزال ذلك القصر ثابتا فى مكانه لا يتزعزع ولا يتحلحل ما بقيتا فى مكانهما، فإذا سقطت إحداهما، عجزت الأخرى عن الاستقلال به .. فسقطت بجانب أختها.. فسقط هو بسقوطهما.

لا يعجبك أن يتفق الناس جميعاً على حبك، لأنهم لا يتفقون إلا على حب الرجل الضعيف المهين الذى يتجرد لهم من نفسه .. وعقله .. ورأيه .. ومشاعره .. ثم يقع على ذنبه تحت أقدامهم إقعاء الكلب الذليل .. يضربونه فيصطبر لهم، ويعيشون به فيبصبص بذنبه طلباً لرضاهم ... ويهتفون به فيقترب ويزجرونه فيزدجر.

ولا يعجبك أن يتفقوا على بغضك، لأنهم لا يتفقون إلا على بغض الخبثاء الأشرار الذين لا يحبون أحداً من الناس، فلا يحبهم من الناس أحد.

وليعجبك أن يختلفوا فى شأنك، وينقسموا فى أمرك، ويذهبوا فى النظر إليك، وتقدير منزلتك كل مذهب، فتلك آية العظمة، وذلك شأن الرجل العظيم.

كن القائد الذى تحمل الريح صوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، ولا تكن الريح التى تختلف إلى آذان الناس بأصوا الناطقين من حيث لا يأبهون لها، ولا يعرفون لها فائدة.

كن النبتة النضرة التى تعتلج ذرات الأرض فى سبيل نضرتها ونمائها، ولا تكن الذرة التى تطؤها الأقدام، وتدوسها الحوافر والأخفاف.

كن زعيم الناس إن استطعت، فإن عجزت فكن زعيم نفسك، ولا تطلب العظمة من طريق التشبع للعظماء، والتلصق بهم، أو مناصبتهم العداء والوقوف فى وجههم، فإن فعلت كنت التابع الذليل .. وكانوا الزعماء والأعزاء!

الإخلاص طريقك
للتخلص من القلق

مما يتسبب فى قلق الكثيرين امتعاضهم من تصرفات غيرهم وأفعالهم تجاههم وإحساسهم بالتجاهل أو الإهمال أو الإحساس بالدونية نتيجة لهذا التجاهل.

وعلى سبيل المثال فقد كان كل ما يؤرق (حازماً) ويقلقه ويتسبب فى إزعاجه أنه يشعر أن زملاءه وأقاربه لا يعاملونه بذات المعاملة التى يتعامل بها معهم.

فهو يزورهم ويودهم ويقدم لهم يد العون والمساعدة، ومع ذلك فهم لايبادلونه نفس الأمر، ومن ثم فهو يشعر من نفسه بالدونية وبعدم التقدير من الآخرين، ويحزن كثيرا على أنه يفعل الخير لهؤلاء ثم هم لا يقابلونه بالخير، بل يقابلونه بالجحود.

ويعلمنا الإسلام الحنيف قاعدة عظيمة فى هذا الشأن نتخلص بها من القلق الذى من هذا النوع .. هذه القاعدة تتمثل فى قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم – :

قاعدة ذهبية :

«ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها».

إنها والله قاعدة ذهبية للتخلص من القلق الناشئ عن عدم التكافؤ فى العلاقات .. فالحديث يبين أن (الواصل) يعنى الذى يصل رحمه أو يصل

غيره من الناس، ليس هو ذلك الذى يتعامل مع الناس بأسلوب التكافؤ، يعنى إن زاروه زارهم، وإن لم يصلوه قطعهم ..

كلا ولكن الذى يتفضل على الناس فيعاملهم بأفضل مما يعاملونه هم به، وقال الحافظ فى الفتح فى شرح الحديث السالف الذكر : «.. وأقول لا يلزم من نفى الوصل ثبوت القطع، فهم ثلاث درجات : واصل، ومكافئ ، وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ الذى لا يزيد فى الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذى يُتفضل عليه ولا يتفضل ..».

والخلاصة التى يبينها الحديث أنك لا تكون (واصلا) عند الله تعالى وتأخذ ثواب صلة الرحم، وصلة إخوانك المسلمين، إلا إذا كنت تنطلق فى هذه الصلة من مصدر الإخلاص لله رب العالمين.

بمعنى أنك تصلهم ليس لذواتهم فحسب، ولكن تصلهم وتبرهم لله، حتى تأخذ الثواب العظيم، فإن وصلوك هم، فهم مكافئون، وهذا شئ طيب، أن تصلهم ويصلوك، وهذا هو المطلوب، وهو ما يحقق روح الأخوة والتراحم بين المسلمين .

أما إن قابلوا صلتك هذه بالمقاطعة، فلم يبادلوك الصلة، فهم عندئذ قاطعون، وعليهم الوزر أما أنت فلك الأجر، ولا يجب حينئذ، أن تتوقف صلتك لهم لأنك كما قلنا لا تصلهم لذواتهم فحسب إنما تصلهم لله .. لتأخذ الأجر والثواب.

ولهذا لما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشتكى قرابته الذين يصلهم ويقطعونه، ما أمره الرسول ﷺ بمقاطعتهم بالمثل، كلا ، ولكنه بشره بعظيم الثواب، وأمره بالاستمرار فى صلتهم وودهم .. جاء ذلك عن أبى هريرة –

رضى الله عنه - قال : «أن رجلا قال : يارسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى وأحسن إليهم، ويسيئون إلى، وأحلم عنهم ويجهلون على، فقال ﷺ: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك».

قال الإمام النووى فى شرح الحديث : «.. وقيل معناه أنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم فى أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، من الخزى والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل، وقيل الذى يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم والله أعلم».

لا تحزن :

فما الذى يحزنك ؟! أنت تحسن إليهم فتأخذ عظيم الأجر والثواب، وهم يسيئون إليك أو لا يقابلونك بنفس الإحسان ويقطعونك فينالون بذلك الإثم. وأنت لا يزال معك من الله ظهير يعنى نصير عليهم، ينصرك عليهم، ويحميك منهم ماداموا على ذلك.

ولعل مداومة صلتك لهم تجعلهم يثوبون إلى رشدهم، ويرجعون عن غيهم فيصلونك، وتتحسن العلاقات ، وتعود الألفة والمحبة، فأنت لا تحزن قط على عدم مكافأة الناس لك فى العلاقات . لأنك أولا وأخيراً تعمل العمل لله تعالي.

وطالما أنك مخلص فى عملك لله فلا تنتظر المكافأة من أحد . افعل الخير ولا تنتظر الرد من أحد .. اعلم فقط أن الله تعالى عنده أجر عظيم.

كن أنت وصولا، لأن الله أمرك بهذا، وحذرك من قطيعة الأرحام وقرنها بالإفساد فى الأرض .. قال الله تعالى :

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)﴾ [محمد].

والنبى ﷺ قال : «لا يدخل الجنة قاطع، قال ابن عمر قال سفيان : يعنى قاطع رحم».(رواه مسلم)

وفوق هذا أنه وعد من يصل رحمه بالرزق فى الدنيا وحسن الأثر، فقال ﷺ : «من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره، فليصل رحمه». (رواه البخارى ومسلم وغيرهما)

وعلى هذا فصلة الأرحام تزيد فى الرزق وفى العمر، وإن كانت الأرزاق والآجال محددة معلومة، إلا أنها تزيدها بركة، فيبارك الله لمن يصل رحمه فى رزقه وعمره.(١)

إذن فلا تنظر لرد فعل الناس على أعمالك، ولكن انظر إلى ثوات ما تفعل، وعظم أجرك، ولا تضع ردود الفعل فى اعتبارك.

افعل الخير :

افعل الخير لن تعدم جوازيه

لا يضيع العرف بين الله والناس

وقيل : «افعل الخير لأهله ولغيره أهله، فإن كان هو أهله فهو أهله، وإن لم يكن هو أهله فأنت أهله».

يعنى كن أنت أهلا للخير، وافعله لكل الناس، ولا تبالى بما يردون

---

(١) بل هى زيادة حقيقية وأن من القدر ما هو منجز وما هو معلق.

عليك فستجد من بعضهم الإعراض، فلا يصدنك هذا الإعراض أبدا عن فعل الخير.

وليكن لك القوة الحسنة فى الأنبياء جميعاً أرسلهم ربهم بالهدى ودين الحق .. فما كان من أقوامهم إلا أن كذبوهم وآذوهم أشد الإيذاء.

والرسول ﷺ جاء إلى قومه يهديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن النار إلى الجنة، ونحن نعرف جميعاً كيف كان إيذاؤهم له، وإعراضهم عن دعوته.

فاعلم أنه ليس كل الناس أوفياء، وليس كلهم أكفاء، ففيهم الأنانى وفيهم البخيل الشحيح وفيهم الحسود الحقود، وفيهم اللئيم الجبان ، وفيهم الخسيس النذل ... إلخ.

فهل تذهب نفسك عليهم حسرات ؟! كلا إنهم لا يستحقون منك ذرة حسرة ولا لحظة حزن، إن عليك أن تحمد الله تعالى أنك لست مثلهم.

وأنك تتعامل معهم بأحسن مما يعاملونك به، ولعل الله يهدى من يشاء منهم، استمع إلى قوله تعالى :

﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت].

يعنى إن أساء إليك أحد، فلا تبادله الإساءة بمثلها. ولكن ادفع بالتى هى أحسن، فماذا ستجد ؟! لعل الله أن يقلب عداوته لك إلى محبة وولاء.

كن كالنخلة :

ترى ماذا تفعل النخلة ؟! يرميها الناس بالحجارة فتلقى إليهم أطيب

الثمار .. والمؤمن مثل النخلة وهذا ما يقرره الرسول ﷺ، فعن عبدالله بن عمر قال :

«كنا عند رسول الله ﷺ فقال : أخبروني بشجرة شبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ..» قال ابن عمر : فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا، قال رسول الله ﷺ هي النخلة ». (رواه البخاري ومسلم وغيرهما)

ولقد كان ﷺ يسمع الأذى من قومه فيدعو لهم ويقول : «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

فقدم الخير أخي المسلم ولا تنتظر الرد من أحد، قدمه لله تعالى، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) ﴾[الإنسان]

فلا تنتظر جزاء من أحد، ولا شكرا من أحد، فاشكر أنت الناس ولا تنتظر منهم الشكر.

اشكر من قدم لك معروفا، لأن أخلاقك الإسلامية تأمرك بهذا، تأمرك أن تقدر أهل المعروف، وتمنحهم الشكر، فقد جاء في الحديث الشريف : «من لا يشكر الناس لا يشكر الله».(١)

(١) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود وابن حبان في صحيحه والبيهقي في الكبرى.

ومع هذا فلا تنتظر أنت الشكر من أحد، لأنك قد تفعل له معروفا ثم لا يشكرك، أو لا يقدر هذا المعروف.

فى الحقيقة إنك لم تخسر شيئا. نعم لقد كسبت الثواب العظيم لمعروفك، وهو قد خسر لأنه لم يقدم لك الشكر، ولم يستجب لأمر الله. فأنت لا تحزن ولا تأس، ولكن اشكر أنت الله على أن وفقك لخدمة الناس.

ضع أمامك دوما أنك تعامل الله قبل الناس،، وتقصد بالعمل وجه الله وابتغاء الثواب، عندئذ يطمئن قلبك وتهدأ نفسك.

نصائح غالية :

- صحح أفكارك - تخل عن الغيرة المذمومة - كن شخصاً مختلفا - أحب لأخيك ما تحبه لنفسك - لا تحزن على مافات واهتم ليومك - لا تكن جامدا - ارض بقدر الله - أحسن إلى غيرك - إلزم الإخلاص - لا قصاص اشخاصاً قلوبين - اعلم أن مع العسر يسرا - انظر فى الدنيا إلى من هو أسفل منك وفى الدين إلى من هو أعلى منك - تفكر فى خلق الله - وأدم على الصلاة والاستغفار - والدعاء يذهب عنك القلق وتكسب محبة الله .

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

